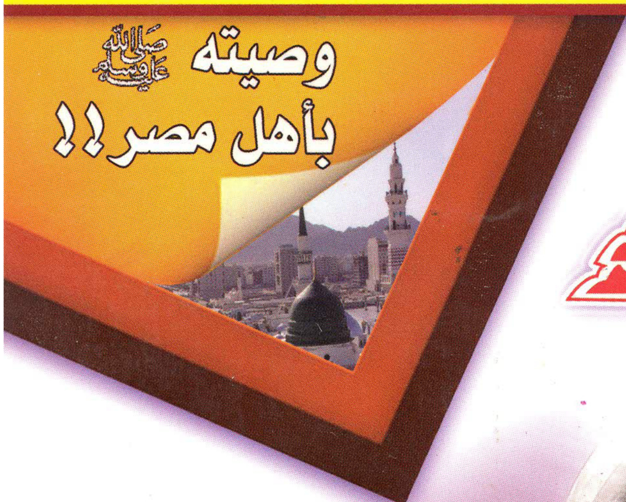
الشائعات وأثرها السيئ في الأمة !!



وصيته ﷺ بأهل مصر !!

التوحيد

إسلامية ثقافية شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٤٩٥ - السنة الثانية والأربعون - ربيع الأول ١٤٣٤ هـ
الثمن جنيهان

في خطبة التاريخ للشيخ العريفي:

يحكي عن روائع أم الدنيا .. بلد الأنبياء



أسس الاستقامة في منهج الفكر الإسلامي

دعوة الأمة للاعتصام بالكتاب والسنة

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس مجلس الإدارة
د.عبد الله شاكر الجنيدي

المشرف العام
د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية
جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل

التحرير
٨ شارع قولة عابدين. القاهرة
ت:٢٣٩٣٦٥١٧ . فاكس :٢٣٩٣٠٦٦٢
البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير:
GSHATEM@HOTMAIL.COM
قسم التوزيع والاشتراكات
ت:٢٣٩٣٦٥١٧
ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM
المركز العام:
هاتف :٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦
WWW.ANSARALSONNA.COM

بشرى سارة

تعلن إدارة المجلة عن رغبتها في تفعيل التواصل بينها وبين القراء في كل ما يتعلق بالأمور الشرعية لعرضها على لجنة الفتوى ونشرها بالمجلة على البريد الإلكتروني التالي : q.tawheed@yahoo.com

السلام عليكم

لِمَن يفهم !!

دواء قلوبنا وحسن أخلاقنا في هَدْي نبينا صلى الله عليه وسلم ؛ إذ يقول: «مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ». ولمجرد أنْ قالت أم المؤمنين عائشة ليهودي: «عليك السام واللعنة» ؛ وكان قد تفحَّش على النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً: «السام عليك يا محمد»، عاتبها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «لا تكوني فاحشة»، قال لها ذلك مع أنها زوجته وهي مسلمة ، والخصم يهودي ، وهو البادئ بالسّبّ!

وفي زمننا هذا بدلاً من أن يتسابق الكثيرون في الإنتاج والإبداع والحضارة ، تسابقوا في السب والقذف والفحش، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا ، فيسبّون وكله في سبيل الله ! ويقذفون لنصر دينه ! ويتفحشون لإعلاء كلماته! ويتفوهون غلظةً وفظاظةً لترغيب الناس في الشريعة !! حتى صارت أكثر القضايا المرفوعة بتهمة السب والقذف، فانتشرت الكراهية وشاعت الأحقاد، ووقع الصد عن سبيل الله، والشماتة في أوليائه ، والتربص بهم.

يا سادة ! قولوا للناس حُسنًا ، وأعرضوا عن الجاهلين، وإذا خاطبوكم فقولوا سلامًا ، وتعلموا الذكاء من أحد الأتقياء، علي بن أبي طالب وقد جاءه يهودي يعَيِّره يقول: ما دفنتم نبيكم حتى قال الأنصار: منا أمير ومنكم أمير. فقال الإمام: أنتم ما جفَّت أقدامكم من ماء البحر بعد إذ نجاكم الله من فرعون ؛ حتى قلتم: يا موسى اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة!!

التحرير

السنة الثانية والأربعون
العدد ٤٩٥ - ربيع أول ١٤٣٤

في هذا العدد

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني

حسين عطا القراط

سكرتير التحرير

مصطفى خليل أبو المعاطي



ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرشاً ، السعودية ٦ ريالات ، الامارات ٦ درهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الاردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا ٢ دولار ، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٣٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون

٢- في الخارج ٢٥ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الاسلامى فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة «حساب رقم ١٩١٥٩٠/».

التوزيع الداخلي: مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية
مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

دعوة الأمة إلى الاعتصام بالكتاب والسنة

بقلم/ الرئيس العام
د/ عبدالله شاكر الجنيدي
www.sonna_banha.com

الحمد لله الواحد القهار، مالك السماوات والأرض وما بينهما العزيز الغفار، والصلاة والسلام على النبي المصطفى المختار، وآله الطيبين الأطهار، وصحابته البررة الأخيار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعدُ:

ونحن لا نزال في بداية عام هجري جديد أوجّه كلمة صادقة إلى أمتي الإسلامية، داعيًا إياها إلى ضرورة الاجتماع على الكتاب والسنة، ونبذ البدعة والفرقة، والناظر في واقع الأمة يجد فرقًا متعددة، وأحزابًا متنافرة، وطرقًا بدعية، وهذا باب شر مستطير يؤدي إلى ضياع الأمة وهوانها وضعفها، والفرقة تستلزم تدابرًا وانفصامًا في الصف الواحد، وتقاطعًا وتناحرًا في الأمة الواحدة، ولذلك حذر الإسلام الحنيف من الفُرْقة، ودعا أتباعه إلى توحيد الصف وجمع الكلمة؛ لأن التفرق يؤدي إلى التنازع، والتنازع يؤدي إلى الفشل كما قال تعالى: « وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ » [الأنفال: ٤٦].

الأمر بالجماعة والائتلاف والنهي عن الفُرقة والخلاف:

إن من الأصول العظيمة التي قام عليها دين الإسلام: الأمرَ بالجماعة والائتلاف والنهيَ عن الفرقة والخلاف، قال الله تعالى: « وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا » [آل عمران: ١٠٣].

وقد ذكر الإمام الحافظ ابن جرير رحمه الله بأسانيده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال في قوله تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا) قال: الجماعة، كما ذكر أقوالاً أخرى منسوبة إلى السلف في معنى «حبل الله» منها: القرآن، الإخلاص لله وحده، الإسلام. [انظر تفسير الطبري ٤/٢٢١].

وهذه الأقوال المأثورة عن السلف تدل على شيء مهم ألا وهو: أن الاعتصام بالقرآن والإخلاص لله وحده، والتمسك بالإسلام الصحيح الذي جاءنا من عند الله يؤدي إلى تآلف المسلمين واجتماعهم، وترابطهم وتماسك مجتمعهم، وعدم وقوع الفرقة والخلاف بينهم، وقد فهم ذلك الإمام ابن كثير رحمه الله فقال في معنى قوله: «ولا تفرقوا» أمرهم بالجماعة ونهاهم عن التفرقة، ثم قال: «وقد ضُمنت لهم العصمة عند اتفاقهم من الخطأ، كما وردت بذلك الأحاديث المتعددة أيضًا، وخِيف عليهم الافتراق والاختلاف، وقد وقع ذلك في هذه الأمة فافترقوا على ثلاث وسبعين فرقة، منها فرقة ناجية إلى الجنة ومُسلمة من عذاب النار، وهم الذين على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه». [تفسير ابن كثير ج١/٥٣٤].

ونفهم من هذا وجوب الاعتصام والاجتماع على القرآن والسنة، وأن الفرقة والخلاف بسبب البعد عن الجماعة والوقوع في البدعة والضلالة، وقد ذكر القرطبي رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لسماك الحنفي: يا

حنفي الجماعة الجماعة، فإنما هلكت الأمم الخالية لتفرقها، أما سمعت الله عز وجل يقول: «وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ» [آل عمران: ١٠٣] إلى أن قال: «فأوجب تعالى علينا التمسك بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم والرجوع إليهما عند الاختلاف، وأمرنا بالاجتماع على الاعتصام بالكتاب والسنة اعتقادًا وعملاً، وذلك سبب اتفاق الكلمة، وانتظام الشتات الذي يتم به مصالح الدنيا والدين، والسلامة من الاختلاف، وأمر بالاجتماع ونهى عن الافتراق الذي وصل لأهل الكتابين». [تفسير القرطبي ٥٢٧/٢].

القاعدة الأساسية التي يقوم عليها الاجتماع:

وكلام القرطبي رحمه الله هنا في غاية النفاسة؛ حيث ذكر الركيزة والقاعدة الأساسية التي يقوم عليها هذا الاجتماع، ألا وهي: الكتاب والسنة اعتقادًا أو عملاً، وأن ذلك سبب في اتفاق الكلمة وانتظام الشتات، ويظهر للبصير بعد ذلك أن أي قاعدة أخرى لا تراعي ذلك لن تفلح في جمع الكلمة، وعليه فالدعوات إلى اجتماع الكلمة مع بقاء كل طائفة على ما هي عليه من معتقدات باطلة، وبدع ظاهرة لا يجمع كلمة، ولا يقيم شريعة، وهذا واضح غاية الوضوح، من خلال هذه الشريعة الربانية التي أمر الله فيها أن نلتزم صراطه المستقيم فحسب، وأن ندع السبل المخالفة له، قال الله تعالى: «وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» [الأنعام: ١٥٣]، وهذه هي الوصية العاشرة التي أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يتلوها على أمته، وقد أفرد الله صراطه، وهو منهج قويم ظاهر الاستقامة لا يضل سالكه، ولا يهتدي تاركه، وجمع السبل المخالفة له؛ لأن الحق واحد، ومصدره واحد، والباطل متعدد متشعب وهو كثير، فيشمل الأديان الوضعية الباطلة، والمنسوخة المحرفة، والبدع والشبهات والمعاصي، وقد نهى الله تبارك وتعالى عن التفرق في صراطه وسبله فإن التفرق في الدين الواحد، وجعله مذاهب يتشيع لكل منها شيعة وحزب سببٌ لإضاعة الدين بترك طلب الحق المنزل فيه، ومدعاة لضعف المتفرقين وذلهم وضياع حقهم، واتباع لسنن الأمم المتقدمة عليهم الذين اختلفوا وتفرقوا، ولم يتابعوا أنبياءهم فأهلكهم الله تعالى، قال ابن كثير رحمه الله: «أمر المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنه هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله، ونحو هذا قاله مجاهد وغير واحد. [تفسير ابن كثير ٢٦١/٢].

ثم ساق ابن كثير حديث عبد الله بن مسعود وفيه: «خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا بيده، ثم قال: هذا سبيل الله مستقيمًا، وخط عن يمينه وشماله، ثم قال: هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: (وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ) [الأنعام: ١٥٣]. والحديث حسنه الألباني في ظلال الجنة (١٧).

> **أفرد الله صراطه، وهو منهج قويم ظاهر الاستقامة لا يضل سالكه، ولا يهتدي تاركه، وجمع السبل المخالفة له؛ لأن الحق واحد، ومصدره واحد، والباطل متعدد متشعب**

وقال في قوله تعالى: (فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ) [الأنعام: ١٥٣] إنما وحّد سبيله لأن الحق واحد، ولهذا جمع السبل لتفرقها وتشعبها، كما قال تعالى: (ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ) [البقرة: ٢٥٧]، ثم ساق حديث عبادة بن الصامت وفيه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أيكم يبايعني على هؤلاء الآيات الثلاث؟ ثم تلا: (قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ) [الأنعام: ١٥١]، حتى فرغ من ثلاث آيات، ثم قال: «ومن وفى بهن فأجره على الله، ومن انتقص منهن شيئًا فأدركه الله في الدنيا كانت عقوبته، ومن أخره إلى الآخرة كان أمره إلى الله إن شاء آخذه، وإن شاء عفا عنه». [انظر تفسير ابن كثير ٢٦٣/٢].

وقد ذكر الشوكاني عن ابن عطية أنه قال: «وهذه السبل تعم اليهودية والنصرانية والمجوسية، وسائر أهل الملل وأهل البدع والضلالات من أهل الأهواء والشذوذ في الفروع، وغير ذلك من أهل التعمق في الجدل والخوض في الكلام، هذه كلها عرضة للزلل ومظنة لسوء المعتقد». [تفسير الشوكاني ١٧٨/٢].

وقال الكيا الهراسي: «في الآية دليل على منع

النظر والرأي، مع وجود النص»، وقال قتادة: اعلموا أن السبل سبيل واحد، جماعة الهدى، ومصيره الجنة، وأن إبليس ابتدع سبلاً متفرقة، جماعة الضلالة مصيرها إلى النار، كما روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، ونحو هذا في القرآن قال: «أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله». [انظر تفسير القاسمي ٦/٢٥٧١].

دين الله وصراطه واحد لا يختلف ولا يتعدد:

وبهذا يظهر لكل ذي عينين أن دين الله وصراطه واحد لا يختلف ولا يتعدد، وأن منهجه رباني، فعبادة الله وتوحيده، وأصول الاعتقاد التي يجب على كل مسلم أن يعتقدها، والأحكام والآداب والسنن والمستحبات؛ كله منصوص عليه صراحة، أو مستنبط ومأخوذ من النصوص، فلا حاجة إلى البدع والخرافات، وإذا نزلت بالمسلمين نازلة أو مشكلة عُولجت وفق هذا المنهج الرباني - الكتاب والسنة - وهذه ميزة عظيمة اختص الله بها الفرقة الناجية دون غيرهم من أتباع الفرق والضلال، وهي: أن انتسابهم وانتماءهم للكتاب والسنة لا غيرُ، وإمامهم ومتبوعهم النبي صلى الله عليه وسلم.

واقع الفرق المنحرفة:

وأما أصحاب الفرقة المنحرفة فرغبوا عن التسميات الشرعية، ومالوا إلى المسميات المحدثة البدعية، ووالوا وعادوا عليها، وهذا خروج عن الصراط المستقيم، وقد أجاد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في تصويره لواقع هذه الفرق المنحرفة فقال: «وإذا كانت الشهادتان هي أصل الدين وفروعه، وسائر دعائمه وشعبه داخلة فيها، فالعبادة متعلقة بطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، وكذلك علق الأمور بمحبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم كقوله: «أحب إليكم من الله ورسوله»، وبرضا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم كقوله: «والله ورسوله أحق أن يرضوه»، وتحكيم الله ورسوله كقوله: «وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم»، إلى أن قال: «الانتساب إلى جنس معين من أجناس بعض شرائع الدين كالتجند للمجاهدين، والفقه للعلماء، والفقراء والتصوف للعباد، أما الانتساب إلى بعض فرق هذه الطوائف كإمام بعينه، أو شيخ، أو ملك، أو متكلم من رؤوس المتكلمة، أو فعل تتميز به طائفة وشعار هذه الفرقة من اللباس من عمائم أو غيرها، كما يتعصب قوم للخرقة، كل ذلك من أمور الجاهلية المفرقة بين الأمة، وأهلها خارجون عن السنة والجماعة، داخلون في البدع والفرقة، بل دين الله تعالى: أن يكون رسوله محمد صلى الله عليه وسلم هو المطاع أمره ونهيه، المتبوع في محبته ومعصيته، ورضاه وسخطه، وعطائه ومنعه، وموالاته ومعاداته، ونصره وخذلانه». [مجموع الفتاوى ٣٤١-٣٤٣].

ضوابط الانتساب إلى اسم بعينه:

ويجب أن يعلم بعد هذا أن الأسماء التي يسوغ الانتساب إليها، لا يجوز التعصب لها، ولا امتحان الناس بها، ولا الموالاة والمعاداة عليها، وهذا واضح غاية الوضوح في تربية النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه، وأضرب مثالاً على ذلك من توجيه النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الحادثة، فقد أخرج البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ ثَابَ مَعَهُ نَاسٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حَتَّى كَثُرُوا، وَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلٌ لَعَّابٌ، فَكَسَعَ أَنْصَارِيًّا (أي ضربه برجله)، فَغَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّى تَدَاعَوْا، وَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ»، ثُمَّ قَالَ: مَا شَأْنُهُمْ فَأُخْبِرَ بِكَسْعَةِ الْمُهَاجِرِيِّ الْأَنْصَارِيَّ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ». وقد بوب الإمام البخاري رحمه الله لهذا الحديث

> دين الله تعالى: أن يكون رسوله محمد صلى الله عليه وسلم هو المطاع أمره ونهيه، المتبوع في محبته ومعصيته، ورضاه وسخطه، وعطائه ومنعه، وموالاته ومعاداته، ونصره وخذلانه .

بقوله: «باب ما نُهي عن دعوى الجاهلية» فتح الباري (٦/٥٤٦)، وقال النووي رحمه الله في شرحه للحديث: «تسميته صلى الله عليه وسلم ذلك دعوى الجاهلية هو كراهة منه لذلك، فإنه مما كانت عليه الجاهلية من التعاضد بالقبائل في أمور الدنيا ومتعلقاتها، وكانت الجاهلية تأخذ حقوقها بالعصبات والقبائل، فجاء الإسلام بإبطال ذلك، وفصل القضايا بالأحكام الشرعية» (شرح النووي على مسلم ١٦/١٣٧).

وقد علق شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه على هذه الحادثة تعليقًا جميلاً فقال: «وانتساب الرجل إلى المهاجرين والأنصار انتساب حسن محمود عند الله وعند رسوله صلى الله عليه وسلم، ليس من المباح الذي يُقصد به التعريف فقط، كالانتساب إلى القبائل والأمصار، ولا من المكروه أو المحرم، كالانتساب إلى ما يُفضي إلى بدعة أو معصية أخرى، ثم - مع هذا - لما دعى كل منهما طائفة منتصراً بها، أنكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك، وسماها: دعوى الجاهلية، فإذا كان هذا التداعي في هذه الأسماء، وهذا الانتساب الذي يحبه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فكيف بالتعصب مطلقًا، والتداعي للنسب والإضافات التي هي: إما مباحة أو مكروهة؟ وذلك أن الانتساب إلى الاسم الشرعي، أحسن من الانتساب إلى غيْره». [اقتضاء الصراط المستقيم ١/٢١١- ٢١٤].

لزوم جماعة المسلمين من قواعد الإسلام:

ولذلك فنحن في دعوتنا الله وطريقنا إليه، لا ننتسب ولا نتعصب لاسم أو غيره، وإنما ولاؤنا لله وحده ومتابعتنا للنبي صلى الله عليه وسلم دون سواه، ومما يهمنا في هذا الشأن وفي هذه المرحلة من تاريخ أمتنا أن نجتمع وننصر الحق وحده الذي جاءنا من عند الله، وألا نختلف عليه، أو نتفرق فيه، وهذا هو الهدي النبوي الذي دعا إليه النبي صلى الله عليه وسلم، فقد روى عبد الرحمن بن أبان بن عثمان عن أبيه رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «نضر الله عبدًا سمع مقالتي هذه فحملها، فرُبَّ حامل الفقه فيه غير فقيه، ورب حامل الفقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث خصال لا يغل عليهن صدر مسلم، إخلاص العمل لله عز وجل، ومناصحة أولي الأمر، ولزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم» (مسند أحمد ٥/١٨٣ وصححه الألباني)، وهذا الحديث فيه أمر صريح بإخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمور، ولزوم جماعة المسلمين.

وقد ذكر الإمام الشافعي رحمه الله أن المراد بلزوم الجماعة لزوم ما جاء عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في التحليل والتحريم. (انظر الرسالة للشافعي/ ٤٧٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله يرضى لكم ثلاثًا ويكره لكم ثلاثًا، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا». قال النووي في شرحه لهذا الحديث: «وأما الاعتصام بحبل الله فهو التمسك بعهده، وهو اتباع كتابه العزيز وحدوده والتأدب بأدبه، والحبل يُطلق على العهد وعلى الأمان، وعلى الوصلة وعلى سبب، وأصله من استعمال العرب الحبل في مثل هذه الأمور؛ لاستمساكهم بالحبل عند شدائد أمورهم، ويوصلون بها المتفرق، فاستعير الحبل لهذه الأمور، وأما قوله صلى الله عليه وسلم: «ولا تفرقوا» فهو أمر بلزوم جماعة المسلمين وتآلف بعضهم ببعض، وهذه إحدى قواعد الإسلام». [شرح النووي على مسلم ١٢/١١].

> المراد بلزوم الجماعة لزوم ما جاء عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في التحليل والتحريم.

ويلاحظ أن النووي - رحمه الله - اعتبر لزوم جماعة المسلمين من قواعد الإسلام، وهذه حقيقة واضحة في دين الإسلام، وكان عليها الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، وقد خطب ابن مسعود الناس يومًا فقال: «يا أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة، فإنها السبيل في الأصل إلى حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة». [رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١/١٠٨].

نسأل الله أن يجمع بين المسلمين على البر والتقوى، وأن يجنبنا الزلل في القول والعمل.

كلمة التحرير

خطبة التاريخ للشيخ العريفي

تحكي عن روائع أمّ الدنيا.. بلد الأنبياء

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@HYAHOO.COM

الحمد لله وكفى، وصلاةً وسلامًا على عبده المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعدُ:

ففي ظل الظروف التي تمر بها مصر وهي تعيش حالة من التدني في شتى الميادين، من التدني الأخلاقي، والتردي الأمني، وحالة من الانفلات في المشاعر والأحاسيس، هان فيها الأخ على أخيه! وانتشرت الفتن والشائعات وتخبط الجميع! وهانت دماء المصريين على أهلها، بل هانت مصر على أبنائها؛ لأنهم قد ابتعدوا عن كتاب ربهم عز وجل، وسُنَّة نبيهم صلى الله عليه وسلم، وتقاتلوا في البحث عن منصب زائل، أو سلطة فانية؛ هي أمانة لمن يعرف الأمانة!! سيحاسبه عليها رب العباد يوم المعاد.

إضافة إلى مع ما تعانيه مصر من حالة اقتصادية صعبة؛ نتيجة لما تقاسيه البلاد من حالات الفوضى، وحب الدنيا الزائلة، ولذلك كثيرًا ما تظهر علامات الأسى والحزن على الوجوه!!

ووسط هذه المشاعر المتاججة، كانت هناك حاجة ماسّة ليقف الجميع أمام مسئوليته؛ ويفكر كلٌ في دوره؛ لأنه من تراب هذا البلد العظيم الذي نعيش فيه ولا نعرف قدره، ولا منزلته، ولا تاريخه الإسلامي الذي ارتبط بالأنبياء والرسل، وبرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم وبآل بيته، وبصحابته الغر الكرام الميامين رضي الله عنهم أجمعين، وعن أرض مصر وترابها التي احتضنت أكثر من ٣٥٠ صحابيًا على أرضها، ودُفنوا في ترابها، مصر التي قادت الأمة الإسلامية لأكثر من ٢٦٥ عامًا حيث كان مقر الخلافة في مصر.

لقد كانت الحاجة مُلحة وسط هذا الظلام وتشتت القلوب حول ما يحدث في مصر إلى أن يتحدث التاريخ عما لا يعرفه الكثيرون عن مصر أم الدنيا من قبل، عن مصر التي هانت على أهلها في خطبة ذهبية نادرة من عالم دمث الأخلاق، تفانى في جمع حلقات التاريخ المنسية في غياهب الظلمات ليذكِّر بها المصريين، وليقول لهم بكل الحب: هذه هي مصر العظيمة، وهذا هو تاريخها، يناديكم أن اعتصموا بحبل الله واتحدوا ، وكونوا منارًا للحكم الإسلامي وللزود عن الأمة وقضاياها.

لذا آثرت أن أشرف بالتقديم لها؛ لكي يحتفظ بها كل مسلم؛ يراجع كلماتها، ويقف على روائعها؛ حيث إنها شهادة التاريخ على جُرْم كل من هانت عليه مصر، سواءً كان من هذا الفصيل أو ذاك؟!

وخطبة التاريخ تحكي عن أن من شاهد الأرض وأقطارها، والناس أنواعًا وأجناسًا، ولم يرَ مصر ولا أهلها فما رأى الدنيا ولا الناس، هي أم الدنيا، ووطن المجاهدين والعُبَّاد، قهرت قاهرتها الأمم، ووصلت بركاتها إلى العرب والعجم، هي بلاد كريمة التربة مؤنسةٌ لذوي الغربة..

خطبةٌ للتاريخ أناشد أهل الخير أن يقوموا بطباعتها في مطويات تُوزع بالملايين، ولوحات تُعلق في المساجد والأماكن العامة والميادين؛ ليتعرف عليها الناس، نفردها اليوم -اعترافًا منا بالجميل لهذا العالم الجليل- على صفحات مجلة التوحيد الغراء.

ومع نسائم أمل في الله، ورغبة في ازدهار الأحوال؛ كي تعود مصر بكل أبنائها لتقود العالم الإسلامي، فها هي الكلمات الذهبية بين أيديكم للشيخ الدكتور/ محمد بن عبد الرحمن العريفي، أستاذ مساعد قسم العقيدة بجامعة الملك سعود بالسعودية. ونسأل الله أن يجعل كلماتها بردًا وسلامًا على قلوب المصريين.

فضائل مصر

إذا ذكرت المصريين.. ذكرت الكعبة والبيت الحرام:

أيها الإخوة المسلمون: إنها اليوم شهادة، إنها شهادة لبلد الأنبياء، إنها شهادة لمسكن العلماء، إنها رسالة إلى بلد العلم والجهاد، إنني أتحدث اليوم عن أم الدنيا، دعوني اليوم أتحدث عن مصر.

مَن شاهدَ الأرْضَ وأقْطارَها
والنّاسَ أنواعًا وأجناسَا
ولا رأى مصْرًا ولا أهلها
فما رأى الدنيا ولا الناسَ

هي أم البلاد، وهي موطن المجاهدين والعُبَّاد، قهرت قاهرتها الأمم، ووصلت بركاتها إلى العرب والعجم.

هي بلاد كريمة التربة، مؤنسة لذوي الغربة،

مصر هي أم البلاد، وهي موطن المجاهدين والعُبَّاد، قهرت قاهرتها الأمم، ووصلت بركاتها إلى العرب والعجم.

هي بلاد كريمة التربة، مؤنسة لذوي الغربة.

فكم لمصر وأهلها من فضائل ومزايا! وكم لها من تاريخ في الإسلام وخفايا! منذ أن وطئتها أقدام الأنبياء الطاهرين، ومشت عليها أقدام المرسلين المكرمين، والصحابة المجاهدين.

كسوة الكعبة تصنع بأيدي المصريين:

إذا ذكرت المصريين ذكرت الكعبة والبيت الحرام، فإن عمر -رضي الله عنه- أرسل إلى عامله في مصر أن يصنع كسوة للكعبة المشرفة، فصُنعت الكسوة في عهد عمر -رضي الله تعالى عنه- وظلت كسوة الكعبة تصنع هناك، ولم يتوقف ذلك إلا قبل قرابة المائة سنة.

إذا ذكرت المصريين ذكرت الحجاج والمعتمرين، فإن البعثة الطبية المصرية كانت في الحج لسنوات طويلة هي أبرز ما ينفع الحجاج في علاجهم، يأتون من أقطار الدنيا لأجل أن يلتقوا بهذه البعثة المصرية.

إذا ذكرت المصريين ذكرت الدفاع عن فلسطين، وذكرت الجهاد والمجاهدين، فصلاح الدين أقام بمصر، وكثير من قواده منها، وأبرز المعارك مع اليهود قادها مصريون.

إذا ذكرت المصريين ذكرت أمَّنا هاجر زوجة إبراهيم -عليه السلام- وهي أم إسماعيل جدّ رسولنا -عليه الصلاة والسلام-، هي مصرية من القبط، ومارية القبطية زوجة رسولنا الكريم وأم ولده إبراهيم مصرية أيضًا، فإذا ذكرت المصريين ذكرت أخوال رسولنا، وأصهار نبينا.

لا؛ لن أشهد اليوم لمصر، فما مثلي يشهد لمثلها، بل سأقول عن كوكبة العصر، وكتيبة النصر، وإيوان القصر؛ سأتكلم عن أم الحضارة، ورائدة المهارة، ومنطلق الجدارة؛ نعم! سأقول عن أرض العز، وعن بلاد العلم والقطن والبز.

لا؛ لن أشهد اليوم لمصر، فما مثلي يشهد لمثلها، بل سأقول عن كوكبة العصر، وكتيبة النصر، وإيوان القصر؛ سأتكلم عن أم الحضارة، ورائدة المهارة، ومنطلق الجدارة؛ نعم! سأقول عن أرض العز، وعن بلاد العلم والقطن والبز.

ذكر مصر في القرآن الكريم:

أيها المسلمون: ذكر الله -تعالى- مصر في القرآن، وبيّن الله -جل وعلا- اسمها صريحة في أربعة مواضع في كتابه تشريفًا لها وتكريمًا، فقال الله -جل وعلا-: (وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ) [يوسف:٢١]، وقال -سبحانه-: (ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ) [يوسف:٩٩]، وقال -جل وعلا-: (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا) [يونس:٨٧]، وحكى -جل وعلا- قول فرعون: (أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ) [الزخرف:٥١].

ليس هذا فقط؛ بل أشار الله -تعالى- إلى مصر ولم يصرّح باسمها في ثلاثين موضعًا من القرآن، كقوله -جل وعلا-: (وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا) [القصص:١٥]، يعني مصر، وقوله -جل وعلا-: (وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ) [الأعراف:١٢٧]، يعنون مصر، إلى آخر هذه المواضع.

مصر وخزائن الأرض:

إن مصر -أيها الكرام- هي الأرض الطيبة التي قال الله -تعالى- عنها لما طهرها الله من فرعون وقومه: (كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ) [الدخان:٢٥-٢٨].

إن مصر فيها خزائن الأرض، بشهادة ربنا -جل وعلا- لما قال عن يوسف -عليه السلام-: (قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) [يوسف:٥٥].

ولم يذكر الله -تعالى- قصة نهر في القرآن إلا نهر النيل، قال -جل وعلا-: (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ) [القصص:٧]. قال الكندي: «لا يُعلم بلد في أقطار الأرض أثنى الله عليه في القرآن بمثل هذا الثناء، ولا وصَفَه الله بمثل هذا الوصف، ولا شهد له بالكرم، غير مصر».

وصية النبي الكريم بمصر وأهلها:

نعم؛ إنني أتكلم عن مصر، وصّى النبي -صلى الله عليه وسلم- الأمة كلها بمصر وبأهلها، فقال -بأبي هو وأمي-: «إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيرًا؛ فإن لهم ذمة ورحمًا»، وفي لفظ: «فإن لهم ذمة وصهرًا». رواه مسلم.

هاجر، زوجة إبراهيم -عليه السلام-، وهي أم إسماعيل جدّ نبينا -عليه الصلاة والسلام-، مصرية من القبط، ومارية أم ولده إبراهيم مصرية أيضًا؛ ولذلك قال عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله تعالى عنهما-: «قبط مصر هم أخوال قريش مرتين».

وقال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «إنكم ستفتحون مصر، أحسِنوا إلى أهلها؛ فإن لهم ذمة ورحمًا». رواه مسلم.

فهي وصية للأمة كلها، فعلى كل من تعامل مع المصريين أن يُحسن إليهم، وأن يكرمهم، وأن يعرف قدرهم، وأن يقف معهم عند حاجتهم، وأن ينصرهم عندما يؤذون؛ الهدية إليهم من أفضل الهدايا.

وصية الرسول صلى الله عليه وسلم بقبط مصر:

ولم يكتف الرسول -صلى الله عليه وسلم- بمدح مصر وأهلها؛ بل أمر بالإحسان حتى إلى أقباطها، فقال -صلى الله عليه وسلم-: «اللهَ اللهَ في قبط مصر؛ فإنكم ستظهرون عليهم، ويكونون لكم عُدة وعونًا في سبيل الله». رواه الطبراني وصححه الألباني.

نعم! وكم يسرنا -والله- أن نرى من تآلف بين مسلمي مصر وبين أقباطها، ونسأل الله -جل وعلا- أن يجمعهم جميعًا على العقيدة الصحيحة التي بعث الله بها عيسى، وبعث بها محمدًا، وبعث بها جميع الأنبياء -عليهم

السلام-، وهي أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا.

عظم مساحتها وطيب أرضها:

يا أهل مصر، يا أهلي، ويا مشايخي، ويا مَن أخذنا عنهم الأسانيد في قراءة القرآن، يا أصحابي: إن في أرضكم الوادي المقدّس طوى، وفيها الجبل الذي كلم الله -تعالى- فيه موسى -عليه السلام-، وفيها الجبل الذي تجلَّى الله -جل وعلا- له فانْهَدَّ دكًا؛ وهي مُبَوَّأُ الصدق الذي قال الله -تعالى- عنه: (وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ) [يونس:٩٣].

وفي أرضكم يجري نهر النيل المبارك الذي ينبع من أصله من الجنة، قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «سَيْحَانُ وَجَيْحَانُ وَالْفُرَاتُ وَالنِّيلُ، كُلٌّ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ». رواه مسلم.

وفي أرض مصر الربوة التي أوى إليها عيسى -عليه السلام- وأمه، قال -جل وعلا-: (وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ) [المؤمنون:٥٠].

وعلى أرض مصر ضرب موسى بعصاه الحجر فانفجر الماء منه، وانشق البحر له، فكان كل فرق كالطود العظيم.

إذا أردت القرآن واللغة والفصاحة فأنت تسير إلى مصر:

نعم، إنها مصر، إذا أردت القرآن وتجويده فالتفت إلى مصر، إذا أردت اللغة والفصاحة فإنك ستنتهي إلى مصر، إذا أردت الأخلاق الحسنة وحلاوة اللسان وحلاوة التلاوة والقرآن فالتفت لزامًا إلى مصر.

إننا لا نتحدث عن بلد عادي، إننا نتحدث عن بلد عظيم القدر، أشار الله -تعالى- لكبر مصر وأشار لعظم مساحتها فقال -جل وعلا-: (فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ) [الشعراء: ٥٣]، وهذا يدل على كثرة مدنها.

ولعظم قدر مصر منذ القدم افتخر الهالك فرعون بأنه يملكها دون غيرها، فقال كما حكى الله -جل وعلا- عنه: (أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ)؟! قال عمرو بن العاص -رحمه الله ورضي عنه-: «ولاية مصر جامعة تعدل الخلافة»، يعني: ولاية كل بلاد الإسلام في كفة، وولاية مصر في كفة.

مصر أم البلاد وغوث العباد:

وقال سعيد بن هلال: «إن مصر أم البلاد، وغوث العباد، إن مصر مصورة في كتب الأوائل، وقد مدّت إليها سائر المدن يدها تستطعمها؛ وذلك لأن خيراتها كانت تفيض على تلك البلدان».

وقال الجاحظ: «إن أهل مصر يستغنون بما فيها من خيرات عن كل بلد، حتى لو ضرب بينها وبين بلاد الدنيا بسور ما ضرها».

وفي مصر رباط الإسكندرية الذي رابط فيه العلماء والزهاد والعباد والمجاهدون والأبطال والشجعان، قال أبو الزناد صاحب أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه-: «خير سواحلكم رباطا الإسكندرية».

وقال سفيان بن عيينة يومًا لأحمد بن صالح: «يا مصري: أين تسكن؟!»، قال: «الفسطاط»، قال: «فائتِ الإسكندرية؛ فإنها كنانة الله، يجعل فيها خير سهامه».

وعند المصريين جامع عمرو بن العاص صاحب رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، وهو أول جامع بني في قارة إفريقيا، وقد ضبط قبلته جماعة من الصحابة قدروا بثمانين صحابي اجتمعوا عنده وقت بنائه وقدروا القبلة فوجهوه إليها.

وعند المصريين جامع الأزهر الذي له الفضل المشهور، والعلم المنثور، والتقدم الكاسر، والارتفاع القاهر، العلماء فيه متكاثرون، والعُباد فيه قائمون، والزوار إليه متوافدون.

قيادتها للأمة الإسلامية:

مصر قادت الأمة الإسلامية أكثر من خمس وستين ومائتي سنة، ظلّت الخلافة في مصر منذ انقطاع الخلافة من بغداد في سنة ست وخمسين وستمائة للهجرة إلى انتقال الخلافة إلى العثمانيين بتركيا سنة أربع وعشرين وتسعمائة للهجرة.

إننا لا نتحدث عن بلد عادي، إننا نتحدث عن بلد عظيم القدر، فإذا أردت القرآن وتجويده فالتفت إلى مصر، وإذا أردت اللغة والفصاحة فإنك ستنتهي إلى مصر، وإذا أردت الأخلاق الحسنة وحلاوة اللسان وحلاوة التلاوة والقرآن فالتفت لزامًا إلى مصر.

يكفي المصريات فخرًا وعزًّا وشرفًا أن سيد الأنبياء محمدًا كانت جدته هاجر مصرية، وأم ولده مارية مصرية؛ ويكفي المصريات فخرًا أن ماء زمزم تفجّر إكرامًا لامرأة مصرية، لهاجر ولابنها إسماعيل؛ ويكفي المصريات فخرًا أن هاجر المصرية لما سعت بين الصفا والمروة خلد الله فعلها.

أما أهل مصر فيكفيهم شرفًا وفخرًا أن الله -تعالى- اختار منهم الأنبياء، وجعل الله -تعالى- الأنبياء يسكنون بين ظهرانيهم، فهذا الخليل إبراهيم -شيخ الموحدين وأفضل المرسلين وجدّ خاتم النبيين- أتى مصر مع زوجه سارة، وتزوّج هاجر المصرية.

وهذا يعقوب -عليه السلام- دخلها مع أبنائه الأنبياء، وفيها توفوا ودفنوا، وهذا يوسف -عليه السلام- سكن مصر وحكمها وتوفي ودفن فيها، وهذان موسى وهارون -عليهما السلام- ولدا في مصر وعاشا فيها، وهذا يوشع بن نون ولد في مصر وعاش فيها، وهذا الخضر، وهذا أيوب -عليهم أفضل الصلاة والسلام- كلهم دخلوا مصر، ومنهم من مات فيها.

ولقد ضرب الله -تعالى- بأبطال مصر أمثلة في كتابه، فمن المصريين مؤمن آل فرعون البطل الثابت على الحق الذي قال الله -جل وعلا- عنه: (وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ) [غافر:٢٨].

ومن المصريين الرجل المؤمن الذي حذّر موسى -عليه السلام-: (وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ) [القصص: ٢٠].

ومن المصريين السحَرة الذين ذكر الله -تعالى- قصتهم لما آمنوا وصدقوا، وكانوا في أول النهار سحرة فجرة، وصاروا في آخر النهار شهداء بررة، إنها بلاد الأبطال!

مكانة نساء مصر:

أما نساء مصر فيكفي المصريات فخرًا وعزًّا وشرفًا أن سيد الأنبياء محمدًا -عليه الصلاة والسلام- كانت جدته هاجر مصرية، وأم ولده مارية مصرية؛ ويكفي المصريات فخرًا أن ماء زمزم تفجّر إكرامًا لامرأة مصرية، لهاجر ولابنها إسماعيل؛ ويكفي المصريات فخرًا أن هاجر المصرية لما سعت بين الصفا والمروة خلد الله فعلها، وأمر الله -تعالى- الأنبياء وسائر الأولياء والحجاج والمعتمرين أن يسعوا كسعيها.

ويكفي المصريات فخرًا أن أم موسى -عليه السلام- مصرية، وأن آسيا امرأة فرعون مصرية، وهي التي قال الله -جل وعلا- عنها: (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ) [التحريم:١١].

ويكفي المصريات فخرًا أن المرأة الصالحة التي كانت ماشطة لبنت فرعون كانت مصرية، وقد قال نبينا -عليه الصلاة والسلام-: «لما كانت الليلة التي أسري بي فيها وجدت رائحة طيبة، فقلت: ما هذه الرائحة الطيبة يا جبريل؟! قال: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها».

حسن أخلاق أهلها:

إن أهل مصر هم من ألين الناس تعاملاً، وأحسنهم أخلاقا وأدبًا، قال تاج الدين الفزاري: «من أقام في مصر سنة واحدة وُجِدَ في أخلاقه رقة وحسنًا».

وقال ابن ظهيرةَ عن أهل مصر: «حلاوة لسانهم، ومودتهم للناس، ومحبتهم للغرباء، ولين كلامهم، وحسن فهمهم للشريعة، مع حسن أصواتهم، وطيب نغماتهم وشجاها، وطول أنفاسهم وعلاها؛ فمؤذنوهم إليهم الغاية في الطيب، ووعاظهم ومغنوهم إليهم المنتهى في الإجادة والتطريب؛ ونساؤها أرق نساء الدنيا طبعًا، وأحلاهن صورة ومنطقًا، وأحسنهن شمائل، وأجملهن ذاتًا؛ وما زلت أسمع قديمًا عن الإمام الشافعي -رضي الله تعالى عنه-، ولم أره منقولاً، أنه قال: من لم يتزوج بمصرية لم يكمل إحصانه».

من سكن من الصحابة رضي الله عنهم أرض مصر:

أيها المسلمون: ولقد سكن مصر بعد فتحها جماعة من أصحاب سيدي رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، حتى إنه لما أحصي عدد الصحابة الذين دخلوا مصر أو سكنوا فيها أو زاروها أو حكموها

أو دفنوا في ترابها تعدوا خمسين وثلاثمائة صحابيًا كلهم دخلوا مصر، منهم من جاء رسولاً إليها أو حاكمًا أو مجاهدًا أو معلمًا، منهم: عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي السرح، وعبد الله بن عمرو، وكلهم ولي إمارة مصر.

ومنهم: جابر بن عبد الله بن حرام، والزبير بن العوام، وعبد الله بن الزبير، وسعد بن أبي وقاص، وعبادة بن الصامت، وعبد الله بن عباس، وعمار بن ياسر، وأبو أيوب الأنصاري، وأبو ذر الغفاري، وأبو الدرداء، وأبو هريرة، وعبد الله بن الحارث الزبيدي، وهو آخر صحابي مات بمصر. ثلاثمائة وخمسون صحابيًا تخيَّرْتُ أبرزهم؛ لكن، كلهم قد سكنوا مصر أو زاروها.

وفي مصر ولد خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز -رحمه الله تعالى-.

الأئمة والأعلام المصريون أثروا الدنيا بعلمهم:

أيها الإخوة المسلمون: إذا تكلّمنا عن مصر فإننا نتكلم عن بلاد العلماء الذين وصل أثرهم إلى كل الدنيا، منهم صحابة كرام، وتابعون أعلام، منهم الليث بن سعد وهو إمام المصريين، الذي قيل عنه: إنه كان أعلم رجال عصره، ومنهم القارئ «ورش»، فإذا سمعت مَن يقول: «على قراءة ورش» فاعلم أنه المصري. اليوم؛ أكثر أهل إفريقيا والمغرب يقرؤون بقراءة هذا المصري.

ومنهم الإمام المحدث عبد الله بن لهيعة، ومنهم الإمام الشافعي، وله طلاب مصريون كثيرون، ومنهم سعيد بن كثير وكان إمامًا عالمًا، قال عنه يحيى بن معين إمام الجرح والتعديل لما سئل عن مصر، قال: «رأيت في مصر ثلاث عجائب: النيل، والأهرام، وسعيد بن كثير».

ومنهم عبد الملك بن هشام صاحب السيرة النبوية المشهورة، ومنهم الإمام الطحاوي الذي ألف العقيدة الطحاوية التي تدرس اليوم في كل الدنيا، وتدرسها الجامعات هنا في المملكة العربية السعودية، ومنهم الإمام ابن النحاس، ومنهم القاضي عبد الوهاب المالكي، ومنهم شيخ الحنابلة الحافظ عبد الغني المقدسي، فإذا ذكرت الحنابلة وذكرت الفقه الحنبلي رجعت لزامًا إلى عبد الغني المقدسي، وكان قد خرج من الشام وسكن مصر.

ومنهم الإمام البطل العز بن عبد السلام، ومنهم «ابن خلكان» صاحب وفيات الأعيان، ومنهم القارئ العظيم الإمام «الشاطبي» الذي ألف منظومة في ألف بيت في تلاوة القرآن وقراءته، ثم أخذ المنظومة وطاف حول الكعبة مئات المرات، ثم جعل يدعو الله -تعالى- أثناء طوافه أن يبارك في تلك المنظومة، وقد انتشرت انتشارًا عظيمًا.

> إذا تكلّمنا عن مصر فإننا نتكلم عن بلاد العلماء الذين وصل أثرهم إلى كل الدنيا، منهم صحابة كرام، وتابعون أعلام، منهم الليث بن سعد وهو إمام المصريين، الذي قيل عنه: إنه كان أعلم رجال عصره، ومنهم القارئ «ورش»، فإذا سمعت من يقول: «على قراءة ورش» فاعلم أنه المصري. اليوم؛ أكثر أهل إفريقيا والمغرب يقرؤون بقراءة هذا المصري.

ومن المصريين مؤلف كتاب الترغيب والترهيب عبد العظيم المنذري، ومن المصريين الإمام القرافي، وهو من أذكياء العالم، ومن أئمة الدنيا، ومن أعيان المذهب المالكي، ومن المصريين ابن دقيق العيد، ومنهم خليل المالكي صاحب مختصر خليل الذي يعول عليه المالكية اليوم في دروسهم وجامعاتهم، ومنهم ابن هشام النحوي، ومنهم الإمام الهيثمي صاحب كتاب مجمع الزوائد، ومنهم ابن حجر العسقلاني الذي ألف فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ومنهم محمود العيني الذي ألف عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، ومنهم المقريزي، ومنهم صاحب كتاب تفسير الجلالين الإمام جلال الدين المحلي الذي أتمه بعد ذلك الإمام السيوطي وكلاهما مصري، ومنهم شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، ومنهم الإمام الشيخ علي بن أحمد الصعيدي العدوي من سلالة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله تعالى عنه-.

من مواقف علماء مصر:

ومنهم الشيخ أحمد الدردير وكان عابدًا عالمًا صالحًا جلس بالأزهر يومًا يعلم طلابه، فلما دخل أحد الولاة، وكان يريد أن يستميل المشايخ لبعض الفتاوى التي يريدها، فقام الطلاب

ولا ينكر فضل هؤلاء العلماء أحد، فمدرسوها وأساتذتها لهم فضل كبير على العرب وعلى المسلمين؛ بل على جميع العالم في مساجدهم وجامعاتهم ومدارسهم، ولمصر من العلماء في الطب وفي الذرة وفي الهندسة وفي الدعوة وفي الأدب وفي غير ذلك أمر لا يجارى أبدا.

خائفين لكثرة الجند ومبجلين لهذا الوالي، فأخذ مصحفًا وجعله في حجره، وأخذ يقرأ القرآن وقد مد رجليه، فمر به الوالي فقال: من هذا؟! قالوا: هذا الشيخ أحمد الدردير، قال: فلماذا لم يقم لما رآني؟! فحاولوا أن يعتذروا له، فحنق عليه هذا الوالي، ثم ذهب الوالي إلى قصره وأخذ صرة أرسلها مع أحد العبيد قال: أعطها ذاك الشيخ الذي كان مادًا رجليه لما مررنا به، فلمّا أقبل إليه ذلك العبد وناوله الصرة علم الشيخ أن ذلك الرجل أراد أن يذله بقبول المال، فنظر إلى هذا الرسول وقال له: «ارجع إلى من أرسلك وقل له: إن الذي يمد رجليه لا يمد يديه».

أما أبطال مصر ومجاهدوها فالكلام عنهم يطول، فكثير من القادة الذين كانوا مع صلاح الدين الأيوبي كانوا مصريين، منهم حسام الدين قائد الأسطول البحري المصري الذي كان شوكة في حلق الفرنجة.

أبطال مصر ردوا الحملة الصليبية:

أيها الناس؛ بل أيتها الدنيا كلها: لن ينسى التاريخ أبدًا أبطال مصر الذين ردوا الحملة الصليبية التي قادها ملك فرنسا واستولى على دمياط، فكمن له الأبطال في مصر وأذاقوه سوء العذاب، وأبادوا جيشه المقدر بعشرات الآلاف، ثم حبسوه في دار ابن لقمان في مدينة المنصورة مقيدًا، ووكلوا لحراسته حارسًا اسمه صبيح، ثم فدا نفسه بأموال عظيمة كثيرة.

ومن المصريين الأبطال سلطان المماليك قطز، وهو الذي قاد معركة عين جالوت، ومن المصريين الأبطال ضباط وجنود شاركوا في حروب فلسطين وفي غيرها من مواقع الجهاد في سبيل الله.

دورها الريادي في العاضر:

وإذا ذكرت مصر وتاريخها ذكرت العُباد والزهاد، ذكرتَ حيوة بن شريح، وذكرت أبا محمد بن سهل، وكان عابدًا صالحًا آمرًا بالمعروف، داعيًا إلى العقيدة الصحيحة، وكان يذمّ العبيديين الشيعة الذين حكموا مصر فترة.

وفي مصر -أيها المسلمون- من الأدباء والكتاب والشعراء أعداد لا يُستهان بها ممن زاروها أو كانوا من أهلها، فإذا ذكرت وقرأت الشعر الرائد لجميل بثينة، وهو من أفصح الشعراء، فاعلم أنه مصري، وإذا قرأت الشعر الرائد لكثير عزة فاعلم أنه مصري، وإذا قرأت شعرًا لأبي نواس فاعلم أنه مصري، وإذا قرأت للشاعر الشهير المتنبي أحمد بن الحسين فاعلم أنه مكث في مصر أربع سنوات.

إنك تتكلم عن بلد عظيم لا يزال فيه أمل لقيادة الأمة، والسير على منهاج أجداده من صحابة رسول الله -عليه الصلاة والسلام-.

لا تكاد تجد قارئًا اليوم معه إجازة وسند إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلا وكان للمصريين عليه يد، فستجده قرأ أو حفظ أو ضبط قراءته أو أخذ السند على يد مصري.

ولا ينكر فضل هؤلاء العلماء أحد، فمدرسوها وأساتذتها لهم فضل كبير على العرب وعلى المسلمين؛ بل على جميع العالم في مساجدهم وجامعاتهم ومدارسهم، ولمصر من العلماء في الطب وفي الذرة وفي الهندسة وفي الدعوة وفي الأدب وفي غير ذلك أمر لا يجارَى أبدًا.

أسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يحفظ جميع بلدان المسلمين عامة، وأن يحفظ مصر خاصة، وأسأل الله -تعالى- أن يجمع شملهم.

اللهم وَلِّ عليهم خيارهم، اللهم اجعل ولايتهم فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين.

لفظ «القبط» عند إطلاقها تدل على كل مَن سكن مصر قديمًا سواء كانوا من المسلمين أو النصارى. [التحرير]

باب التفسير

الحلقة السادسة

تفسير سورة الزمر

إعداد/ د. عبد العظيم بدوي

قال الله تعالى: « أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ
عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ
وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ (٣٦)
وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ
بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ (٣٧) وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ
خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ
أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ
ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى
بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ
حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ (٣٨)
قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى
عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٩) مَن يَأْتِيهِ
عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ
(٤٠) إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ
فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا
يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ (٤١)
ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ
تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا
ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ
(٤٢) أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ
كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ
(٤٣) قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ
(٤٤) وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ
ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ
مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ »

[الزمر: ٣٦- ٤٥].

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده..

حسبنا الله ونعم الوكيل:

لقد كان المشركون يُخَوِّفُونَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم من آلهتهم أن تمسَّهُ بسوء، إن لم ينته عن سبِّها وذمِّهم علي عبادتها، فقال الله تعالى: (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ): السؤال للتقرير: (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ)؟ بلى. فكيف (يُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ)؟! (وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا) [الفرقان: ٣]. وكان هذا ديدن المشركين، يُخَوِّفُونَ رَسُلَ الله من آلهتهم أن تصيبَهم بسوء، فعلوا ذلك مع إبراهيم صلى الله عليه وسلم فقال: (وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) [الأنعام: ٨١]، وفعلوا ذلك مع هودٍ صلى الله

عليه وسلم: (قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ) [هود: ٥٣- ٥٦].

وَوَرِثَ عُبَّادُ القبور هذا الخوفَ فخافوا أهلِ القبورِ وخوفوا بهم، فما نزال نسمع من يُحَذِّرُ دُعَاةَ التوحيد من أصحاب القبور أن تمسَّهم بسوء، فإن قال قائل: لا تدعوا أولياءَ الله الصالحين من دونِ الله، ولا تنذروا لهم، ولا تذبحوا، قال قائلُهم: انْتَهِ عن قولك، فإن أولياء الله ينتقمون مِمَّنْ عاداهم، ونحو ذلك من السفه، الذي ورثه هؤلاء القبوريون عن المشركين، (وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٦) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ)؟ بلى! فهوَ العزيزُ الذي يَغْلِبُ وَلاَ يُغْلَب، وَهوَ القاهر الذي يَقْهَرُ ولا يُقْهَر، وهو المنتقم ممن كذب رسلَه وخالف أمره، كما قال تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ) [الروم: ٤٧]، وقال تعالى: (فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ) [الزخرف: ٥٥- ٥٦].

دلائل التوحيد:

(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ):

يقيم اللهُ تعالى الْحُجَّةَ على المشركين الذين اتخذوا من دونه أولياء، يعبدونهم كما يعبدون الله، وهم معترفون أن أولياءهم (لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا) [الفرقان: ٣]، (قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ) [الرعد: ١٦]، فالذي يجب أن يُعْبَدَ هو الله وحده لا شريك له، لأنه (ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ) [الشعراء: ٧٨- ٨٣]، فالخلق والرزق، والنفع والضر، والعطاء والمنع، من دلائل وجوب إفراد الله بالعبادة، قال تعالى: (قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ) [الأنعام: ١٤- ١٨]، وقال تعالى: (ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ) [فاطر: ١- ٣].

فلما أقام الحجة على بطلان ألوهية الأصنام والأوثان، وأثبتها لله الواحد الدَّيَّان، قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: (قل حسبي الله)

أي: قل لهم بعد ما تبيَّن الدليل القاطع على أنه وحده المعبود، وأنه الخالق للمخلوقات، النافع الضار وحده، وأن غيره عاجز من كل وجه عن الخلق والضر، قل مُسْتَجْلِبًا كفايتَه ومستمطرًا رحمته مُسْتَدْفِعًا مكرَهم وكيدَهم: (قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون): أي عليه يعتمد المعتمدون في جلب مصالحهم، ودفع مضارهم، فالذي بيده وحده الكفاية هو حسبي، سيكفيني ما أهمَّني، وما لا أهتمُّ به [تيسير الكريم الرحمن (٦/ ٤٧٤)] لأنه قاله وقولُه الحق: (وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ) [الطلاق: ٣].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما (حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ صلى الله عليه وسلم حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم حِينَ قَالُوا (إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ) [آل عمران: ١٧٣] [أخرجه البخاري ٤٥٣٦].

ولما قامت عليهم الحجة وأصروا واستكبروا استكبارًا، أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يتبرأ منهم ومما يعبدون من دون الله، فقال: (قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ): أي اعملوا على طريقتكم، وعلى مِلَّتِكم التي اخترتموها، فإني عامل على طريقتي ومِلَّتي التي هداني ربي إليها، كما سبق في أول

السورة: (قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (١١) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (١٢) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣) قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي (١٤) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ) [الزمر: ١١- ١٥]، (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) عاقبة ما اخترتموه لأنفسكم وآثرتموه، كما قال تعالى: (وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ) [الرعد: ٤٢]، وقال تعالى: (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) [الشعراء: ٢٢٧].

(فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٩) مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيه وَيَحِل عَلَيْه عَذَابٌ مُقِيمٌ)، وقد حلَّ بهم العذاب يوم بدر، فَقُتلَ منهم سبعون، وأُسرَ سبعون، (فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) [الزمر: ٢٦].

اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم:

(إنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكتَابَ للنَّاس بالْحَقِّ): يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: إنا أنزلنا إليك الكتاب للناس أي من أجلهم: (يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [المائدة: ١٦]، كما قال تعالى: (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) [إبراهيم: ١]، وقال تعالى: (هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ) [الحديد: ٩].

(فَمَنِ اهْتَدَى) بهدي القرآن (لنَفْسه) أي فإنَّما نَفْعُ ذلك له، (وَمَنْ ضَلَّ فَإنَّمَا يَضلُّ عَلَيْهَا)، ولا يضر اللهَ شيئًا، فالله تعالى لا تنفعه الطاعة، ولا تضره المعصية، كما قال تعالى: (إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) [الزمر: ٧]، وفي الحديث القدسي قال الله تعالى: (يَا عبَادي إنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّوني وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُوني) [أخرجه البخاري ٢٥٧٧].

(وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بوَكيلٍ)، وما أنت عليهم بحفيظ، وما أنت عليهم بمصيطر، (وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) [يوسف: ١٠٣]، و (لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) [البقرة: ٢٧٢]، يهدي من يشاء ويعصم ويعافي فضلاً، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلا، (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) [الأنعام: ١٢٥].

دلائل البعث:

(اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حينَ مَوْتهَا وَالَّتي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامهَا)، فذكر الله تعالى الموتتين: الكبرى وهي الوفاة، والصغرى وهي النوم، وفي الأنعام ذكر الصغرى أوَّلا ثم الكبرى، فقال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٦٠) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ (٦١) ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ) [الأنعام: ٦٠- ٦٢].



(اللَّهُ يَتوَفَّى الْأَنْفُسَ حينَ مَوْتهَا)، (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا) [آل عمران: ١٤٥]، (فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) [الأعراف: ٣٤]، (وَالَّتي لَمْ تَمُتْ في مَنَامهَا) أي اللهُ يَتَوَفَّى الأنفسَ التي لم ينته أجلُهَا بالليل في منامها، فالنوم وفاةٌ، والنوم موتٌ، (فَيُمْسكُ الَّتي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ) في هذه الليلة، (وَيُرْسلُ الْأُخْرَى إلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) لتستوفي أجلها.

وهكذا سمَّى اللهُ تعالى النوم وفاةً، وسمَّى اليقظة بَعْثًا، ولذلك كَانَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم إذَا أَرَادَ أَنْ يَنَامَ قَالَ: (بَاسْمكَ اللَّهُمَّ أَمُوتُ وَأَحْيَا). وَإذَا اسْتَيْقَظَ منْ مَنَامه قَالَ: (الْحَمْدُ لله الَّذي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا، وَإلَيْه النُّشُورُ) [أخرجه البخاري ٦٣١٢].

(إنَّ في ذَلكَ لَآيَاتٍ لقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) فيعلمون أن اللهَ الذي يبعثهم من نومهم قادرٌ على أن

يبعثهم بعد موتهم.

من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه:

ثم يُنكرُ اللهُ تعالى على المشركين اتخاذَهم شفعاءَ من دونه، فيقول: (أم اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ)؟! وهي الأصنامَ والأوثان التي عبدوها من دون الله، كما قال تعالى: (وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ) [يونس: ١٨]، (قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ) أي: قل لهم يا نبينا: أتعبدونهم وهم فقراء لا يملكون شيئًا، ولا يعقلون شيئًا؟! وهل يصلح الفقير أن يُعبَد؟! كيف والأصل في العابد أنه يعبد معبودَه طمعًا فيما عنده، ويشترط في هذا المعبود أن يكون متصفًا بصفات الكمال التي بها يعرف من يعبده، ويعرف حاجته منه، ويكون قادرًا على قضائها وتحقيقها، فهل تصرون على عبادتهم وهذا حالهم: (لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ)؟! (قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا)، فهو الذي يملكها دون غيره، لأن (لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)، وكل من فيهما مملوك له، (كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ) [البقرة: ١١٦]، (ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) فرادى كما خلقكم، (لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) [البقرة: ٤٨]، كما قال تعالى: (وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ) [الأنعام: ٩٤].

فالشفاعة لله وحده، يأذن فيها لمن يشاء إكرامًا له وإظهارًا لفضله، ويُعَيِّنُ له من يشفع فيهم رحمة بهم، فلا يشفع أحد عند الله بغير إذنه، ولا يشفع إلا فيمن يشاء، قال تعالى: (مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ) [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى: (وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ) [النجم: ٢٦]، وقال تعالى: (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ) [الأنبياء: ٢٨]، وقال تعالى: (وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ) [سبأ: ٢٣].

نفور المشركين من التوحيد واستبشارهم بالشرك كان سبب هلاكهم:

(وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ):

لقد أُشْرِبَتْ قلوبهم الشرك، فإذا قيل لهم لا إله إلا الله: (لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ) [المنافقون: ٥]، كما قال تعالى: (وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا) [الإسراء: ٤٦]، (وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) يعني أنهم يفرحون ويسرون حين يدعو داعي الشرك إلى عبادة الأصنام من دون الله، (إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ) [غافر: ٧٠- ٧٦]، (وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ) [فاطر: ٣٧]، قال تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ) [غافر: ١٠- ١٢]، يعني وقد حكم وقضى أنكم منها لا تخرجون.



وللحديث بقية إن شاء الله تعالى، والحمد لله رب العالمين.

أسس الاستقامة في منهج الفكر الإسلامي

إعداد/ د. السيد عبد الحليم

جاء في صحيح مسلم في كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام، حدثنا أبو كريب، حدثنا أبو أسامة، كلهم عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن سفيان بن عبد الله الثقفي، قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا بعدك، وفي حديث أسامة: غيرك، قال: «قل آمنت بالله ثم استقم».

هذا الحديث الذي رواه إمام أهل الحديث أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري في باب ترجم له: «جامع أوصاف الإسلام» في كتاب: «الإيمان»، والذي يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سئل عن الأمر الذي ينبغي أن يأخذ به المؤمن فقال: «قل آمنت بالله ثم استقم».

هذا الحديث انفرد به مسلم عن البخاري، ورواه من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن سفيان بن عبد الله الثقفي، ولم يرو لسفيان بن عبد الله الثقفي حديثًا آخر في «صحيحه».

وهو حديث قد عُني به كثير من أئمة المسلمين، ومن أصحاب السنن[والحديث أخرجه أحمد (٤١٣/٣)، ومسلم (٤٧/١)، والترمذي (٢٤١٠)، وابن ماجه (٣٩٧٢) والدارمي (٢٧١٣) والنسائي في الكبرى (٤٤٧٨)].

فهو ابن ماجه وأحمد بنُ حنبل من رواية الزهري عن محمد بن عبد الرحمن بن ماعز عن سفيان، ويرويه النسائي وأحمد بن حنبل من طريق أخرى، هي رواية عبد الله بن سفيان عن أبيه، وعندما تتعدد الطرق في الحديث الواحد تختلف أحيانًا كثيرة الألفاظ أو الصيغ التي ورد بها ذلك الحديث، كما أن الحديث يختلف من رواية إلى أخرى بما يضم إليه من زيادات، ولذلك عندما نعود إلى رواية الإمام الترمذي نجده بهذا اللفظ، «قلت: يا رسول الله، حدثني بأمر اعتصم به، قال: قل ربي الله ثم استقم، قال: يا رسول الله ما أخوف ما تخاف عليَّ؟ فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسان نفسه ثم قال: هذا» وقد عقب الإمام الترمذي على هذا الحديث بوصفه بكونه حديثًا حسنًا صحيحًا. [الترمذي (٢٤١٠)].

وأما النسائي والإمام أحمد فقد رويا



هذا الحديث بصيغة أخرى تختلف عن الصيغ الأولى، وهي: «أن رجلاً قال: يا رسول الله، مرني بأمر في الإسلام لا أسأل عنه أحدًا بعدك، قال: قل: آمنت بالله ثم استقم. قلت: فما أتقي؟ فأومأ إلى لسانه» [مسند أحمد ٣٨٤/٤ رقم ١٩٤٥٠].

وهذان الحديثان يتفقان اتفاقًا كاملاً مع الحديث الأول الذي رويناه للإمام مسلم.

ولكن حديثًا آخر قريبًا من هذا، ورد عن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حيث قال: يا رسول الله، أوصني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قل: ربي الله ثم استقم، قال: قلت: ربي الله وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مخاطبًا علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ليهنك العلم أبا الحسن. [أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦٥/١)].

وإنما أتينا بهذه الصيغ المختلفة لنتصور مدى اهتمام المسلمين بأمر دينهم، فهم أقرب الناس من رسول الله صلى الله عليه وسلم يعايشونه ويتوجهون بتوجيهه، ويعملون بقوله ويقتدون به في فعله، وتبقى في نفوسهم وساوس ومخاوف، ويريدون اتقاء الشر من أي طريق كان، ولذلك يلجأون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستوضحين السبيل وطالبين منه إما التوجيه أو النصيحة، فقال: «قل لي في الإسلام أمرًا لا أسأل عنه أحدًا بعدك، وقال الثاني: حدثني بأمر أعتصم به، وقال الثالث: أوصني يا رسول الله، فهذا يدل على إلحاح المسلمين الأولين والرعيل الصالح المتقدم الذين كانوا عماد هذا الدين وناشريه في العالم في أطراف المعمورة، كانوا يحرصون على هذا الهدي الديني الإسلامي، ونحن لا نستطيع في عجالة أن نأتي بكل ما قيل عن هؤلاء الرواة الذين ورد عن طريقهم هذا الحديث عند ابن ماجه والترمذي والنسائي والإمام أحمد، ولكننا نكتفي بالرجال الذين ذكرهم في إسناده الإمام مسلم.

ففي حديث الإمام مسلم نجد الراوي الأول هو هشام بن عروة، الذي يرويه عن أبيه، عن سفيان بن عبد الله، وهشام هذا هو أبو المنذر ولد سنة (٦١) وتوفي سنة (١٤٦هـ)، شهد له النقاد بكونه ثقة مأمونًا، غير أن الإمام مالكًا رحمه الله لا يرضاه ووقع التساؤل في عدم رضا الإمام مالك عنه، فقيل: لكونه كان يتساهل في الرواية بالعراق، فيرسل عن أبيه ما كان سمعه من غير أبيه.

وأما عروة بن الزبير بن العوام، فقد كان تابعيًا، ولد سنة (٢٣)، وتوفي سنة (٩٤هـ)، وهو ثقة مأمون، حافظ لحديث عائشة رضي الله عنها، فقيه، عده أبو الزناد في الفقهاء السبعة من أهل المدينة، ووصفه ابن سعد في طبقاته بكونه كان بحرًا لا ينزف لسعة روايته وكثرة علمه، وإفادته لعامة الناس.

وأما سفيان راوي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو سفيان بن عبد الله الثقفي أبو عمر، وقيل: أبو عميرة، وهو عامل عمر بن الخطاب على الطائف، سمع النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت له صحبة، كما روى عن عمر بن الخطاب أحاديث كثيرة.

وهذا الحديث الذي بين أيدينا تتلخص الرواية أو موضع البحث في الجملة الأولى مقارنة بما يساويها ويوازيها في الرواية الثانية؛ لأنه في رواية مسلم بلفظ: «قل آمنت بالله ثم استقم».

وفي الرواية الثانية عند الترمذي «قل ربي الله ثم استقم»، وكلتا الصيغتين تدلان دلالة واضحة على أن عماد الدين هما هذان الأمران: الأمر الأول هو الإيمان بالله، والأمر الثاني هو الاستقامة، غير أن تفصيل هذا الأمر وبيانه يحتاج إلى تأمل لاختلاف الأئمة العلماء في ذلك، في العصر الأول، عصر الخلفاء الراشدين وما بعده، فإن هذا اللفظ الصغير الذي جمع معان كثيرة يشهد له الإمام مسلم بكونه من جوامع الكلم، حين ترجم له بقوله: «باب جامع في أوصاف الإسلام»، كما يشهد له القاضي عياض رحمه الله بتصريحه بقوله: هذا من جوامع الكلم، وجوامع الكلم هي عبارة عن الألفاظ الدقيقة القليلة التي جاءت لتأدية معانٍ كثيرة، وكانت بذلك تفتح للناس الأبواب مشرعة ليجدوا فيها الحكمة ويتدبروا أحكام هذا الدين.

والحديث: «قل آمنت بالله ثم استقم»، أو «قل ربي الله ثم استقم» يقوم أولاً على أساس التوحيد وبيانه، وعلى الطاعة لله سبحانه وتعالى فيما أمر به، فإذا جمعنا الطاعة إلى التوحيد، وجدنا أمرين متلازمين متكاملين؛ لأن المؤمن الكامل الموحد لا يكون إلا طائعًا لله، مؤديًا لما طلب منه، قائمًا بالواجبات، منتهيًا عما نهى عنه الله سبحانه وتعالى ورسوله، وبذلك فإن أطراف الحديث تلتئم، فتكون الرجل الصالح، والرجل المؤمن، والرجل الكامل.

المقصود بالاستقامة أمران:

والاستقامة بهذا المعنى أطلقها العلماء قديمًا، والسلف منهم بخاصة على أمرين اثنين، وصفوا بها أعمال القلب، ووصفوا بها أعمال الجوارح، والمقصود من أعمال القلب الذي هو محل الإيقان والإذعان والاعتراف بالخالق والإيمان، ووصف القلب بالاستقامة، أي قيامه على التوحيد.

وأما وصف الجوارح التي هي عبارة عن المصدر لكل أنواع السلوك الإنساني والتعامل البشري فإن الجوارح التي يمكن أن تكون أعمالها خيرة، ويمكن أن تكون غير خيرة، طلب منها أن تكون مستقيمة، فيوصف القلب بالاستقامة، وتوصف الجوارح بالاستقامة.

دعوة إلى تحقيق هذا المعنى فيهما:

التوحيد حرر الإنسان من هواه ومن عبودية الناس:

والتوحيد حرر الإنسان من نفسه أي من هواه، وحرر الإنسان من غيره، فمكّن له العقل والملكات والقوى، وكلفه وجعله يقبل المسئولية، ولولا ذلك لكان عبدًا منقادًا ذليلاً لا شعور له بأي كرامة.

ثم نجد أن هذا الإيمان الذي طولبنا به، وهذا التوحيد الذي أقرنا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ينبغي أن يكون صادقًا، ومعنى كونه صادقًا أن الاعتداد بالإيمان لا يكون ثابتًا إلا بشرط ألا يكون نظريًا، صاحبه مقطوع الصلة بالله؛ لأن انقطاع الصلة بين العبد وربه - وإن كان يدعي الإيمان - إذا كان إيمانه نظريًا لم يمس قلبه ولا يحرك جوارحه ولا يدفعه إلى خير فهو ليس من الإيمان.

ثم نجد أن تنكب الناس هذه الحقيقة، وبعدهم أفرادًا وجماعات عن هذا المنهج قد أورثهم أدواء كثيرة، أدواء فردية، وأمراضًا اجتماعية.

الطاعة:

وأما المعنى الثاني الخاص الذي هو الطاعة والذي أشار إليه عمر بن الخطاب بأن يكون المسلم أو المؤمن ملتزمًا بدينه لا يروغ في تطبيق ما طلب منه روغان الثعلب، هذا المعنى يقود إلى الالتزام بالأحكام الشرعية والاستقامة على منهج الله.

ولتحقيق هذه المعاني ورد في القرآن الكريم دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم، ودعوة أصحابه من حوله إلى الأخذ بأسباب الاستقامة، حتى وردت في سورة هود الآية الكريمة: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢].

وسُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية وعن آيات القرآن كلها، فقال: شيبتني هود وأخواتها، [الترمذي وصححه الألباني].

وإنما جاء هذا الشيب وجاء هذا الإرهاق الذي يحصل للإنسان لورود أوامر متكاملة متتابعة، الأول هو الأمر بالاستقامة، والاستقامة على دين الله كما أمرت أنت ومن معك ومن تاب معك، ثم

الأمر بعدم التجاوز، عدم تجاوز الحدود التي رسمها الله؛ لأن تجاوز هذه الحدود سماه الله سبحانه وتعالى طغيانًا، ونحن ينبغي أن نحذر من الطغيان.

ثم حذر الله سبحانه وتعالى نبيه ورسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم وحذر المؤمنين كافة بقوله: ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢]، أي لا يقع منكم شيء في هذه الحياة الدنيا إلا على بصر ومرأى من الله سبحانه وتعالى، وهذه الاستقامة أمرها صعب لتعدد متعلقاتها بالنسبة للاستقامة، هي العقائد حيث ينبغي أن يجاهد الإنسان نفسه مجاهدة طويلة، وعلاقتها بالأعمال حتى لا يغيّر ولا يبدل ما أمر به الله، ولا ما ارتضاه لعباده، وعلاقتها بالأخلاق حتى يلتزم الحد الوسط الذي وصف به المؤمنين حين جعلهم أمة وسطا، وذلك ليبتعدوا عن الإفراط والتفريط.

سددوا وقاربوا

هذه المعاني هي التي دعت الرازي في تفسيره إلى القول بأن الاستقامة أمرها صعب، ولا يستطيعها كثير من الناس، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أورده أحمد في مسنده: «سددوا وقاربوا».

ينبغي أن نحرص على التسديد أي تسديد أعمالنا ومقاربة ما أمر به الله حتى لا نكون بعيدين عنه في حالة من الحالات، وقال الحسن رضي الله عنه سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد وعى هذه المعاني وتصورها: «اللهم أنت ربنا ارزقنا الاستقامة».

مزايا الاستقامة:

ومزايا الاستقامة كثيرة، قال القشيري: «هي درجة فيها كمال الأمور وتمامها، وبها أصول الخيرات وانتظامها، وبدونها يكون السعي خائبًا والجهد ضائعًا»، ومرة أخرى يصفها أهل المعرفة بقولهم: هي صفة للرجل أو للكُمَّل من الرجال، صفة لأهل الكمال، معناها أو حقيقتها تتمثل في الخروج من المعهودات ومفارقة العادات، والقيام بين يدي الحق على حقيقة الصدق.

وما لنا والناس يطلبون الرفعة، وينشدون المعالي، ويريدون الكرامة، فإذا أعطوا هذه الكرامة رضوا، وإذا ما طلب منهم أن يسعوا إلى تحقيق الكرامة بأنفسهم تقاعسوا، ولذلك فرق الناس بين أمرين بين الكرامة التي هي منحة تعطى للإنسان فيرتفع بها قدره وتعلو بها منزلته، وبين الاستقامة التي هي طلب من الله سبحانه وتعالى لعباده بأن يكونوا على الحق، فهذه ينبغي أن يسعى لها الإنسان.



الأسس التي دعا إليها الحديث النبوي الشريف بالنسبة لعملنا، بالنسبة لتفكيرنا، ولم التفكير؟

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، فهذا هو الصراط السوي، هذا هو الصراط الذي أمرنا الله باتباعه وهو الصراط المستقيم، وما عدا ذلك فهي منعرجات في الطريق وثنيات في الطريق التي يبتعد بها الإنسان عن المسلك الناجح الرابح.

ونسأل الله الهداية والتوفيق. والحمد لله رب العالمين.

درر البحار من ضعيف الأحاديث القصار

الحلقة السادسة

إعداد/ علي حشيش

٦٨- «وُزِنَ حبر العلماء بدم الشهداء فرجح عليهم».

الحديث لا يصح: أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٦٢١/١٩٥/٢) من حديث ابن عمر مرفوعًا، وفيه محمد بن الحسن العسكري، قال الخطيب: يروي الموضوعات عن الثقات، وهذا الحديث مما صنعت يداه.

٦٩- «مَن غسل ميتًا فليبتدئ بعصره».

الحديث لا يصح : أخرجه البيهقي في «السنن» (٣٨٨/٣) من حديث ابن سيرين مرسلاً، وفيه أبو المنذر يوسف بن عطية الباهلي الكوفي الوراق، وهو أكذب من البصري، وهو يوسف بن عطية الصفار، كذا في «الميزان» (٩٨٧٤/٤٧٠/٤).

٧٠- «الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا».

الحديث لا أصل له: قال العراقي في «تخريج الإحياء» (٢٣/٤) : «لم أجده مرفوعًا»، وهو من قول سفيان الثوري أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥٢/٧).

٧١- «شراركم عُزّابكم».

الحديث لا يصح : أخرجه أبو يعلى في «المسند» (٣٨/٤) (ح٢٠٤٢) من حديث أبي هريرة مرفوعًا، وفيه خالد بن إسماعيل المخزومي متروك، قال ابن عدي في «الكامل» (٤١/٣) (٦٠٠/٣٠): «يضع الحديث على الثقات»، وأخرج له هذا الحديث من مناكيره.

٧٢- «صاحب الحاجة أعمى».

الحديث لا أصل له: أورده السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ح٦١١).

وقال : لا أعرفه في المرفوع، وهو من قول أبي سليمان إدريس النابلسي من نظمه.

٧٣- «من بركة المرأة تبكيرها بالأنثى، ألم تسمع بقول الله عز وجل في حَم : ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [الشورى: ٤٩]، فبدأ بالإناث قبل الذكور».

الحديث لا يصح: أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٤١٧/١٤، ٤١٨) من حديث واثلة بن الأسقع مرفوعًا، وفيه حكيم بن خِذام قال الإمام ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢٠٣/١/٢) ت(٨٨٢): سمعت أبي يقول: «متروك الحديث»، روى عن

العلاء بن كثير صاحب مكحول.

٧٤- «إذا أراد الله بعبدٍ هَوْنًا أنفق ماله في الطين».

الحديث لا يصح : أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣/٢١٥) ت(٧١٣/٢٨) من حديث أنس مرفوعًا، وفيه زكريا بن يحيى أبو يحيى الوقار مصري، قال ابن عدي : «يضع الحديث».

قلت: هذا الحديث واضعه يقع تحت قسم من أعظم أقسام الوضاعين ضررًا ، قال السيوطي في «التدريب» (١/١٨١): «والوضاعون أقسام بحسب الأمر الحامل لهم على الوضع؛ أعظمهم ضررًا قوم ينتسبون إلى الزهد وضعوه احتسابًا للأمر في زعمهم الفاسد، فقُبلت موضوعاتهم ثقةً بهم، وركونًا لهم؛ لما نُسبوا إليه من الزهد والصلاح». اهـ.

وهذا ينطبق تمام الانطباق على أبي يحيى الوقار صاحب هذا الحديث .

٧٥- «اتقوا البرد فإنه قتل أخاكم أبا الدرداء».

الحديث لا أصل له: أورده السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ح١٩) وقال: «لا أعرفه، وأبو الدرداء عاش بعد النبي صلى الله عليه وسلم دهرًا ولم يثبت أنه مات بالبرد».

٧٦- «القلب بيت الرب».

الحديث لا أصل له : أورده السمهودي في «الموضوعات المشهورات» (ح١٨٨) وقال : «قال ابن حجر: ليس له أصل في المرفوع».

٧٧- «الجالب مرزوق والمحتكر ملعون».

الحديث لا يصح : أخرجه ابن ماجه في «السنن» (ح٢١٥٣) من حديث عمر مرفوعًا، وفيه علي بن سالم، أورد له الإمام الذهبي هذا الحديث في الميزان (٣/١٣٠/٥٨٤٧)، وجعله من مناكيره، وقال البخاري: لا يُتَابَع على حديثه.

٧٨- «التمسوا الجار قبل الدار، والرفيق قبل الطريق».

الحديث لا يصح : أخرجه الطبراني في الكبير (ح٤٣٧٩) من حديث رافع بن خديج مرفوعًا.

٧٩- «عليٌّ إمام البررة وقاتل الفجرة، منصورٌ من نصره، مخذول من خذله».

الحديث لا يصح : أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/١٢٩)، والخطيب في التاريخ (٤/٤٤١)، من حديث جابر مرفوعًا، وفيه أحمد بن عبد الله بن يزيد الحراني قال الذهبي في التلخيص: حديث موضوع، وأحمد كذاب. اهـ.



باب الفقه

أحكام الصلاة

صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم

الحلقة الأولى

إعداد/ د. حمدي طه

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فهذه كلمات يسيرة في وصف كيفية صلاة النبي صلى الله عليه وسلم.

صفة الصلاة:

أي: الكيفية التي تكون عليها. والصَّلاةُ كما نعلم هي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، والصَّلاةُ إما في جماعة، وإمّا في انفراد.

وصفة صلاة النبي صلّى الله عليه وسلم التي تناولها الفقهاء بالشرح والتحليل تدور على ثلاثة أحاديث بصفة أساسية مع بعض الأحاديث التي تناولت جوانب معينة من صفة صلاته صلّى الله عليه وسلم، ولذلك كان لزاما على الباحث في صفة صلاة النبي صلّى الله عليه وسلم أن يتعرف على هذه الأحاديث، وكيف تعامل معها الفقهاء في استنباط الأحكام المتعلقة بالصلاة من أركان وواجبات وسنن.

وإذا كان الأمر كذلك فسوف نبدأ بالحديث عن هذه الأحاديث الثلاثة مبينين من أخرجها من أهل السنن، وأهمية هذه الأحاديث، ثم نبين كيف استنبط منها الفقهاء أحكام الصلاة.

اعلم أن أول حديث يُعد كالعمود في هذا الباب في صفة الصلاة، حديث مالك بن حويرث رضي الله عنه قال: أتينا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ونحن شَبَبة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين يومًا وليلة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحيمًا رفيقًا، فلما ظن أنَّا قد اشتهينا أهلنا، أو قد اشتقنا، سألنا عمن تركنا بعدنا، فأخبرناه قال: ارجعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم، وعلموهم، ومروهم وذكر أشياء أحفظها أو لا أحفظها، وصلوا كما رأيتموني أصلي، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، وليؤمكم أكبركم. [رواه البخاري].

أهمية هذا الحديث:

تكمن أهمية هذا الحديث أن الله عز وجل أمر بالصلاة أمرًا إجماليًا في كتابه العزيز في قوله تعالى: (وأقيموا الصلاة)، وحيث إنه أحالنا على صفة صلاته، فهذا بيانٌ للصلاة الواجبة التي افترضها الله عز وجل علينا، وبما أن المجمل وهو الأمر بالصلاة - الصلاة نفسها واجبة - إذًا صفة الصلاة واجبة.

كيفية الاستدلال بهذا الحديث:

استنبط الفقهاء من هذا أن هذا الحديث أصل في أن جميع أقوال وأفعال الرسول في الصلاة الأصل فيها أنها واجبة؛ لأنها جاءت بيان لأمر واجب، وهو الأمر بالصلاة، والقاعدة أن ما كان من أفعال

النبي صلى الله عليه وسلم بيانًا لكتاب الله فهو متم له ويكون حكمه كحكمه، فالأصل أن جميع أفعاله صلى الله عليه وسلم المنقولة إلينا في بيان كيفية الصلاة واجبة؛ لأن بيان الواجب واجب.

أما الحديث الثاني فهو الحديث الذي يُعرف عند أهل العلم بحديث المسيء في صلاته، وقد ورد هذا الحديث من رواية أبي هريرة رضي الله عنه ورواية رفاعة بن رافع رضي الله عنه، أما حديث أبي هريرة فهو ثابت في الصحيحين، وأما حديث رفاعة بن رافع فهو عند أصحاب السنن أبي داود والترمذي والنسائي، وغيرهم وسيأتي بتمامه.

أهمية هذا الحديث:

تكمن أهمية هذا الحديث فيما يلي:

١- أنه تضمن جملة كبيرة من صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم محكية بقوله صلى الله عليه وسلم، ومعلوم أن القول مقدم على الفعل.

٢- أن تعليمه صلى الله عليه وسلم للمسيء في صلاته بيان للأمر المجمل في قوله تعالى: (وأقيموا الصلاة)، وقوله صلى الله عليه وسلم: (وصلوا كما رأيتموني أصلي).

٣- أن كثيرًا من أهل العلم جزم بأن واجبات الصلاة هي المذكورة في طرق هذا الحديث.

كيفية الاستدلال بهذا الحديث:

يقول العلامة ابن دقيق العيد: تكرر من الفقهاء الاستدلال على وجوب ما ذُكر في الحديث، وعدم وجوب ما لم يُذكر فيه، فأما وجوب ما ذكر فيه: فلتعلق الأمر به، وأما عدم وجوب غيره: فليس ذلك لمجرد كون الأصل عدم الوجوب، بل لأمر زائد على ذلك، وهو أن الموضع موضع تعليم وبيان للجاهل، وتعريف لواجبات الصلاة، وذلك يقتضي انحصار الواجبات فيما ذكر، والقاعدة أنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة. ويقوّي مرتبة الحصر: أنه صلى الله عليه وسلم ذكر ما تعلقت به الإساءة من هذا المصلي، وما لم تتعلق به إساءته من واجبات الصلاة، وهذا يدل على أنه لم يقصر المقصود على ما وقعت فيه الإساءة فقط.(إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ١/١٦٦).

ثم قال العلامة ابن دقيق العيد: فإذا تقرر هذا: فكل موضع اختلف الفقهاء في وجوبه - وكان مذكورًا في هذا الحديث - فلنا أن نتمسك به في وجوبه، وكل موضع اختلفوا في وجوبه ولم يكن مذكورًا في هذا الحديث، فلنا أن نتمسك به في عدم وجوبه؛ لكونه غير مذكور في هذا الحديث على ما تقدم من كونه موضع تعليم، وكل موضع اختلف في تحريمه، فلنا أن نستدل بهذا الحديث على عدم تحريمه؛ لأنه لو حرم لوجب التلبس بضده، فإن النهي عن الشيء أمر بأحد أضداده، ولو كان التلبس بالضد واجبًا لذُكر ذلك على ما قررناه.

فهذه الطرق الثلاث يمكن الاستدلال بها على شيء كثير من المسائل المتعلقة بالصلاة، إلا أن على طالب التحقيق في هذا ثلاث وظائف.

أحدها: أن يجمع طرق هذا الحديث، ويحصي الأمور المذكورة فيه، ويأخذ بالزائد فالزائد؛ فإن الأخذ بالزائد واجب.

وثانيها: إذا قام دليل على أحد أمرين: إما عدم الوجوب أو الوجوب، فالواجب العمل به ما لم يعارضه ما هو أقوى منه، وهذا في باب النفي يجب التحرز فيه أكثر؛ فلينظر عند التعارض أقوى الدليلين فيُعمل به.

وعندنا: أنه إذا استدل على عدم وجوب شيء بعدم ذكره في الحديث، وجاءت صيغة الأمر به في حديث آخر: فالمقدم صيغة الأمر، وأيضًا فالحديث الذي فيه الأمر إثبات لزيادة فيعمل بها. (إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام١/١٦٦).

وقد تعقب العلامة الشوكاني العلامة ابن دقيق العيد في هذه الوظيفة بقوله: وأما قوله: «أنه تُقدم صيغة الأمر إذا جاءت في حديث آخر»، واختياره لذلك من دون تفصيل، فنحن لا نوافقه، بل نقول: إذا جاءت صيغة أمر قاضية بوجوب زائد على ما في هذا الحديث، فإن كانت متقدمة على تاريخه كان صارفًا لها إلى الندب؛ لأن اقتصاره صلى الله عليه وسلم في التعليم على غيرها وتركه لها من أعظم المشعرات بعدم وجوب ما تضمنته؛ لما تقرر من أن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز، وإن كانت متأخرة عنه، فهو غير صالح لصرفها؛ لأن الواجبات الشرعية ما زالت تتجدد وقتًا فوقتًا؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم اقتصر عليها في مقام التعليم، والسؤال عن جميع الواجبات واللازم باطل فالملزوم مثله.

وإن كانت صيغة الأمر الواردة بوجوب زيادة على هذا الحديث غير معلومة التقدم عليه ولا التأخر ولا المقارنة، فهذا محل الإشكال ومقام الاحتمال، والأصل عدم الوجوب والبراءة منه حتى يقوم دليل يوجب الانتقال عن الأصل والبراءة، ولا شك أن الدليل المفيد للزيادة على حديث المسيء إذا التبس تاريخه محتمل لتقدمه عليه وتأخره فلا ينتهض للاستدلال به على الوجوب، وهذا التفصيل لا بد منه، وترك مراعاته خارج عن الاعتدال إلى حد الإفراط أو التفريط؛ لأن قصر الواجبات على حديث المسيء فقط، وإهدار الأدلة الواردة بعده تخيلاً لصلاحيته لصرف كل دليل يرد بعده دالاً على الوجوب سدّ لباب التشريع، وردّ لما تجدد من واجبات الصلاة، ومنع للشارع من إيجاب شيء منها، وهو باطل لما عرفت من تجدد

الواجبات في الأوقات.

والقول بوجوب كل ما ورد الأمر به من غير تفصيل، يؤدي إلى إيجاب كل أقوال الصلاة وأفعالها التي ثبتت عنه صلى الله عليه وآله وسلم من غير فرق بين أن يكون ثبوتها قبل حديث المسيء أو بعده؛ لأنها بيان للأمر القرآني أعني قوله تعالى: «أقيموا الصلاة»، ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم (صلوا كما رأيتموني أصلي)، وهو باطل؛ لاستلزامه تأخير البيان عن وقت الحاجة، وهو لا يجوز عليه صلى الله عليه وآله وسلم، وهكذا الكلام في كل دليل يقضي بوجوب أمر خارج عن حديث المسيء ليس بصيغة الأمر كالتوعد على الترك أو الذم لمن لم يفعل. وهكذا يفصل في كل دليل يقتضي عدم وجوب شيء مما اشتمل عليه حديث المسيء أو تحريمه إن فرضنا وجوده [نيل الأوطار للشوكاني ٢/٢٩٥].

وثالثها: أي الوظائف التي أشار إليها ابن دقيق: أن يستمر على طريقة واحدة، ولا يستعمل في مكان ما يتركه في آخر فيتثعلب نظره، وأن يستعمل القرائن المعتبرة في ذلك استعمالاً واحدًا فإنه قد يقع هذا الاختلاف في النظر في كلام كثير من المتناظرين.

وهذا الذي ذكره العلامة ابن دقيق العيد في كيفية الاستدلال قد وافقه كثير من أهل العلم قديمًا وحديثًا عليه على جهة الإجمال.

إذا تقرر هذا فينبغي علينا أن نأخذ بنصيحة ابن دقيق العيد رحمه الله، وأن نذكر حديث المسيء في صلاته بجميع زياداته:

هذا الحديث ورد من رواية اثنين من الصحابة الرواية الأولى عن أبي هريرة أن رجلاً دخل المسجد ورسول الله جالس في ناحية المسجد، فصلى، ثم جاء فسلم عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وعليك السلام فارجع فصلِّ؛ فإنك لم تصلِّ، فرجع فصلى كما صلى، ثم جاء فسلم فقال: وعليك السلام فارجع فصلِّ، فإنك لم تصل، فقال في الثانية أو في التي بعدها: فقال: والذي بعثك بالحق ما أحسن غيره، فعلمني يا رسول الله فقال: إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة فكبّر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن،



ثم اركع حتى تطمئن راكعًا، ثم ارفع حتى تطمئن قائمًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها» [متفق عليه].

والرواية الثانية عن رفاعة بن رافع قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ونحن حوله، إذ دخل رجل كالبدوي فأتى فاستقبل القبلة فصلى ركعتين قريبًا من رسول الله فأخفّ صلاته، وفي رواية: فصلى صلاة لا يتم ركوعًا ولا سجودًا، فلما قضى صلاته جاء فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى القوم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: وعليك، اذهب -وفي رواية ارجع- فصلِّ فإنك لم تصل، وفي رواية: أعد صلاتك فإنك لم تصل، فذهب فصلى بنحو ما صلى، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمق صلاته وجعلنا نرمق صلاته، ولا يدري، وفي رواية: لا ندري ما يعيب منها، فلما قضى صلاته جاء فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى القوم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: وعليك اذهب فصل فإنك لم تصل، فأعادها مرتين أو ثلاثا، كل ذلك يأتي النبي صلى الله عليه وسلم فيسلم على النبي صلى الله عليه وسلم، فيقول النبي صلى الله عليه وسلم: وعليك، فارجع فصل فإنك لم تصل؛ فخاف الناس وكبُر عليهم أن يكون من أخف صلاته لم يصلِّ، فقال الرجل يا رسول الله ما أدري ما عبت عليّ من صلاتي، والذي بعثك بالحق، والذي أنزل عليك الكتاب، والذي أكرمك ما أحسن غير هذا، لقد جهدت وحرصت كيف أصنع فأرني وعلمني، فإنما أنا بشر أصيب وأخطئ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أجل، إذا قمت تريد الصلاة فتوضأ فأحسن وضوءك، وفي رواية: إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء، وفي رواية : فتوضأ كما أمرك الله ثم تشهد، وفي رواية أخري إنه لا تتم صلاة لأحد من الناس حتى يتوضأ فيضع الوضوء يعني مواضعه كما أمره

الله عز و جل، فيغسل وجهه ويديه إلى المرفقين، ويمسح برأسه ورجليه إلى الكعبين، ثم تشهد، وأقم فإذا قمت فتوجهت إلى القبلة، فكبر، وفي رواية أخرى: ثم يقول: الله أكبر ، ثم اقرأ بأم الكتاب، وبما شاء الله أن تقرأ- وفي رواية- ويحمد الله عز و جل ويثني عليه ويمجده، فإن كان معك قرآن فاقرأ - وفي رواية أخرى ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن- وإلا فاحمد الله وكبره وهلله- ثم يقول الله أكبر ثم يركع حتى تطمئن مفاصله وتسترخي- وفي رواية فضع راحتيك على ركبتيك، وفي رواية: بين أصابعك، وامدد ظهرك - وفي رواية أخرى: ثم أندب ظهرك ومكن لركوعك، ثم يقول سمع الله لمن حمده حتى يستوي قائما حتى ترجع العضام إلى مفاصلها، وفي رواية: حَتَّى يُقِيمُ صُلْبَهُ فيَأْخُذَ كُلُّ عُضْوٍ مَأْخَذَهُ، ثم يقول الله أكبر ثم يسجد حتى يُمَكِّنُ جَبْهَتَهُ مِنَ الأَرْضِ، وتسترخي حتى تطمئن مفاصله، ثم يقول الله أكبر ويرفع رأسه حتى يستوي قاعدًا، ثم يقول الله أكبر، ثم يسجد حتى تطمئن مفاصله، ثم يرفع رأسه فيكبر- وفي رواية ثم يرفع رأسه حتى يستوي قاعدًا على مقعدته، ويُقِيمُ صُلْبَهُ- ثم يقول الله أكبر ثم يسجد حتى يُمَكِّنَ وجهه وفي رواية جَبْهَتَهُ مِنَ الأَرْضِ ويسترخي حتى تطمئن مفاصله، ثم يرفع رأسه فيكبر -وفي رواية «فَإِذَا جَلَسْتَ فِي وَسَطِ الصَّلاَةِ فَاطْمَئِنَّ وَافْتَرِشْ فَخِذَكَ الْيُسْرَى ثُمَّ تَشَهَّدْ ثُمَّ إِذَا قُمْتَ فَمِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى تَفْرُغَ مِنْ صَلاَتِكَ»- وفي رواية أخرى فإذا فعل ذلك فقد تمت صلاته-.

وفي رواية: لا تتم صلاة أحدكم حتى يفعل ذلك، وفي رواية: وكان أهون عليهم من الأولى: أنه من انتقض من ذلك شيئًا انتقض من صلاته ولم تذهب كلها.

وحديث رفاعة أخرجه أصحاب السنن وغيرهم، وقد ذكرت الرواية في سياق واحد مع الزيادات الصحيحة الواردة في الروايات المتعددة للحديث حتى نجمع كل ما ورد في صفة تعليمه صلى الله عليه وسلم للمسيء في صلاته. [أخرجه الطبراني (٥/٣٩، رقم ٤٥٢٨). والحديث أصله عند أبي داود (١/٢٢٧، رقم ٨٦٠)، والبيهقي (٢/١٣٣، رقم ٢٦٢٥). وحسنه الألباني].

الحديث الثالث:

عن محمد بن عمرو بن عطاء قال: سمعت أبا حميد الساعديّ في عشرة من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلم . منهم أبو قتادة . قال أبو حميد: أنا أعلمكم بصلاة رسول الله صلّى الله عليه وسلم، قالوا: فلمَ؟ فوالله ما كنتَ بأكثرنا له تَبَعاً، ولا أقدمنا له صحبةً، قال: بلى، قالوا: فاعرض، قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة، يرفع يديه حتى يُحاذِيَ بهما مَنْكِبيه، ثم يُكَبِّر حتى يَقِرَّ كل عظم في موضعه معتدلاً، ثم يقرأ، ثم يكبر ويرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه معتدلاً، ثم يركع ويضع راحتيه على ركبتيه، ثم يعتدل ولا يَنْصِبُ رأسه ولا يُقْنِعُ، ثم يرفع رأسه فيقول: سمع الله لمن حمده، ثم يرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه معتدلاً، ثم يقول: الله أكبر، ثم يَهْوِي إلى الأرض، فيجافي يديه عن جنبيه، ثم يرفع رأسه، ويُثْني رجله اليسرى فيقعد عليها، ويفتح أصابع رجليه إذا سجد، ويسجد، ثم يقول: الله أكبر، ويرفع، ويُثْني رجله اليسرى فيقعد عليها، حتى يرجع كل عظم إلى موضعه، ثم يصنع في الآخر مثل ذلك.

ثم إذا قام من الركعتين، كبَّر ورفع يديه حتى يحاذيَ بهما منكبيه، كما كبر عند افتتاح الصلاة، ثم يصنع ذلك في بقية صلاته. حتى إذا كانت السجدة التي فيها التسليم أخرَّ رجله، وقعد مُتَوَرِّكاً على شقه الأيسر، قالوا: صدقت، هكذا كان يصلي صلى الله عليه وسلم.

وفي رواية: قال: فإذا ركع أمْكَن كفَيه من ركبتيه، وفرَّج بين أصابعه، وهَصَر ظهره، غير مُقْنع رأسه، ولا صافح بخدِّه ، وقال: فإذا قعد في الركعتين، قعد على بطن قدمه اليسرى، ونصب اليمنى، فإذا كان في الرابعة أفضى بوَركه اليسرى إلى الأرض، وأخرج قدميه من ناحية واحدة».

وفي رواية أخرى: قال: «إذا سجد وضع يديه غير مُفترش ولا قابِضهما، واستقبل بأطراف أصابعه القبلة».

وفي رواية قال: «ثم رفع رأسه . يعني من الركوع . فقال: سمع الله لمن حمده، اللهم ربنا لك الحمد، ورفع يديه». [أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي].

أهمية الحديث:

يعتبر حديث أبي حميد الساعديّ هو أشمل الأحاديث التي وردت في وصف صلاة رسول الله صلّى الله عليه وسلم، وسيظهر هذا عند الاحتجاج به على الكثير من أفعال الصلاة.

كيفية الاستدلال بهذا الحديث:

يستدل بما ورد في هذا الحديث على سنن الصلاة في القدر الزائد عن حديث المسيء صلاته بناء على ما قررناه من أن ما ورد من أعمال الصلاة ولم يذكر في حديث المسيء يكون مستحبًّا.

ونكتفي بهذا القدر في هذا العدد على أن نبدأ في العدد القادم - إن شاء الله - في بيان الوصف العملي لصفة صلاة النبي صلّى الله عليه وسلم.

والله من وراء القصد.



ابنتي في بيت الزوجية

إعداد/ د. أبو الفتوح عقل

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد بن عبدالله، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

بيَّنا في مقال سابق دور الوالدين قبيل انتقال ابنتهما إلى بيت الزوجية وما ينبغي أن يُبذل لها من النصح والتوجيه بما يكفل لها حياة زوجية سعيدة، ونود أن نؤكد هنا أن دور الأسرة لا يتوقف بانتقال ابنتهما إلى بيت زوجها؛ حيث تظل البنت في أمسّ الحاجة إلى أبويها وأشقائها بما يوفرون لها من أنس ونصح هي أحوج ما تكون إليه وهي تخطو خطواتها الأولى إلى بيت لا تعرفه وقرين لم تألفه.

ولذا كان من المهم أن يُشعروها بوجودهم معها، وقربهم منها حتى يتحقق لها من الأنس ما يبدد مشاعر الوحدة والخوف من العالم الجديد، والمطلوب فقط هو تفقد أحوالها، وتلمُّس أخبارها، وزيارتها باعتدال بما يحقق الغرض في هذه المرحلة المهمة من حياتها.

ولا ننسى قيمة هذا العمل من قبل الأسرة وما يحدثه ذلك النهج الاجتماعي في نفس زوجها من الارتباط الروحي مع أصهاره، فضلاً عن تقدير واحترام يتولد تلقائيًا نحو الزوجة وأهلها؛ شريطة أن تكون هذه الممارسات وذلك التواصل في حدود الاعتدال الذي لا يشكل عبئًا على الزوج وأهله؛ لأن الغرض من كل ذلك أن تشعر الابنة أن أهلها معها ولم ينسوها، وأنهم أقرب إليها عند الحاجة؛ فإن طرأ جديد بين الزوجين في حياتهما بما يستدعي تدخل الوالد -ناصحًا وموجهًا- في حدود الضرورة أدى كل أب واجبه، بما يتناسب مع الموقف؛ إن رأى أهمية للقيام بهذا الدور الإصلاحي المهم وهو يتعامل معهما بوصفهما ولديه؛ حيث يكون كلاهما في هذه المرحلة في حاجة إلى من يأخذ بيده، وإرشاده إلى طريق السعادة، وتنبيهه إلى مفاتيح الحياة الزوجية الرشيدة.

ونريد أن نقول لوالدها أيضًا: أن يتعامل مع زوج ابنته على أنه ولده، وإنه لكذلك حقًا، ومنذ اليوم الذي جاء ليخطب ابنته، فإذا شعر زوجها فعلاً بدفء العاطفة، وصدق المودة من قبل أبيها وأهلها كان لذلك عظيم الأثر في حسن المعاملة لابنتهم، ووثق الزوج مرجعية ومصداقية أبيها في الحكم والإصلاح بينهما إذا حدث ما يدعو لذلك.

وكم يحلو للزوج أن يعيش متمتعًا بمحبة أصهاره المحبين له، الحريصين عليه وعلى كل ما يعود عليه بالخير، وكم يسره أن يمضي الوقت معهم مشمولاً بعواطفهم واحترامهم له، وكم لذلك من الأثر الطيب في توثيق أواصر المودة مع زوجته؛ حيث الاحترام المتبادل هو لغة التعامل بين الجميع، ونحن لا نخص الوالد فقط ولا الوالدة بهذه المهام، بل إن أشقاءها لهم دورهم المهم والمتمم لدور الوالد بما يقدمون لزوج شقيقتهم من أساليب المعاملة الأخوية الراقية؛ بحيث يُشعرونه بأنه واحد منهم، وبحيث يطمئن إلى صدق مودتهم وإخلاصهم له، وبهذا يحيا بينهم واحد منهم سعيدًا بهذا الأنس، الذي لم يذق حلاوته قبل مصاهرة هذه الأسرة.

وهنا نقول: ينبغي أن ننمّي هذا الوعي الأخلاقي والاجتماعي عند أبنائنا حتى يحسنوا لقاء زوج شقيقتهم، وحتى يجيدوا أساليب التعامل الأخوي؛ حيث يصبّ ذلك في نهاية الأمر في مصلحة شقيقتهم؛ فكم زيجة فشلت وكان السبب سوء التعامل مع زوج الشقيقة!!

وهنا أيضًا ننبه إلى عدم الإفراط والمبالغة في تدليل وتكريم زوج البنت، فإن ذلك يؤدي إلى تشرب مشاعر الغيرة والحقد عليه من قِبل أشقاء بل وشقيقات أختهم.

وهنا أيضًا نقدم النصيحة الذهبية نصيحة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحقيق العدل بين الأبناء حتى في العواطف، ولغة المجاملة والحوار والتشاور؛ فإن الشيطان يغتنم مثل هذه المواقف لينزغ بين أبناء الرجل الواحد.

إن من شأن العدل والتوسط في إظهار تلك العواطف تقوية أواصر المحبة بين الأبناء ودوام التوقير للوالدين، وإغلاق باب الفتنة أمام الشيطان، وفضلاً عن ذلك سيسود جو من الرضا والارتياح يشمل جميع أفراد الأسرة، ويمتد إلى كريمتهم في بيت زوجها.

وفي هذا المقام نحذر بأشد اللهجات من ممارسات الإقصاء والحرمان التي تستهدف البنات؛ حيث يقدم الأب على حرمانهن من بعض ممتلكاته أو كلها، ويخص الذكور بما يملك قبل أن يغادر هذه الدنيا ، وهو لا يعلم أنه أقدم على جريمة بشعة أقل آثارها عيش نكد لبناته في بيوت أزواجهن بما تموج به صدورهن من الحزن وقسوة الشعور بالحرمان، وتفضيل البنين على البنات، والعودة بالأسرة إلى حياة الجاهلية، وليعلم من يفعلون ذلك أنهم أسقطوا أسهم بناتهم في بيوت الزوجية؛ حيث يتولد شعور لا يفارقها بالمهانة والظلم والاحتقار من قِبل أعز الناس ومصدر عزها ومجدها وفخرها، ومن كانت تستمد من وجوده قريبًا منها الأمان والطمأنينة، فإذا به يحرمها عامدًا من حقها الشرعي الذي قال الله تعالى فيه: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ) [النساء: ١١]، وقال : (لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ) [النساء: ٧]، فإن فعل أحدهم ذلك متوهمًا أن البنين أو أحدهم الأقرب إليه نفعًا وهو في سن الحاجة فإن القرآن الكريم يسفه هذا الفهم السقيم فيقول : (آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا) [النساء: ١١].

والأهم من كل الآثار المترتبة على ذلك الظلم البين هو مخالفة أمر الله تعالى وشرعه الحنيف، وليكن معلومًا لهذا الظالم أن إسقاط حق البنت في تركة أبيها الذي وقّع وثيقة الظلم قبل موته - كثيرًا ما يترتب عليه إسقاط شأنها في بيت زوجها، وقد يفعل ذلك الظلم والحرمان أشقاؤها أو أحدهم طمعًا واحتقارًا، ألا فليعلم أمثال هؤلاء الظلمة أنهم خانوا الأمانة التي استودعها إياهم أبوهم الذي انتقل إلى دار الحق والذي يسره أن يسود العدل حياة أبنائه من بعده، ونقول لهذا الشقيق ولإخوته: أكلتم أموال الناس بالباطل، وأطعمتم أبناءكم وأزواجكم مالاً حرامًا، وقطعتم أرحامكم، وازداد عدد أعدائكم، وفي مقدمتهم أبناء شقيقاتكم، وكان المفترض أن تكون آباؤهم بعد آبائهم.



ألا فليعقل الجميع نداء رب العالمين في الحديث القدسي: «يا عبادي إن حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا» رواه مسلم.

نسأل الله السلامة والعافية، والحمد لله رب العالمين.

من الآداب الإسلامية

الغيبة وأثرها السيئ في الأمة

الحلقة الرابعة

إعداد/ د/سعيد عامر
أمين عام لجنة الفتوى بالأزهر

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مَن لا نبي بعده، وبعدُ:

تحدثنا من قبل عن: التورع في القول، وحفظ اللسان وكفه عن السخرية، وعن مسئولية الكلمة، ولا يزال الحديث موصولا :

ولا يغتب بعضكم بعضاً :

مفهوم الغيبة الوقيعة بين الناس؛ لأنها لا تُقال إلا في غَيْبَة ، قال تعالى : (وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا) [الحجرات: ١٢]، أي لا يتناول رجل أخاه بظهر الغيب بما يسوؤه مما هو فيه، وإن كان كاذبًا فهو البهتان.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: يا رسول الله، ما الغيبة؟ قال: «ذكرك أخاك بما يكره». قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتّهُ» [رواه مسلم].

قال الحافظ ابن حجر: هي ذكر المرء بما يكرهه، سواء أكان ذلك في بدن الشخص أو دينه أو دنياه، أو نفسه أو خُلقه أو ماله. [الفتح: ١٠/٤٨٤].

وهذا مرض من أخطر الأمراض على الفرد والأسرة والمجتمع .. ابتُلي به كثير من الناس، ولذلك هو يحتاج إلى علاج مستمر، بل إننا في حاجة ماسة ألا نغفل عن علاجه طرفة عين.

أدلة تحريم الغيبة :

قال الله عز وجل : (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ) [الحجرات: ١٢].

قال ابن عباس : إنما ضرب الله هذا المثل للغيبة؛ لأن أكل لحم الميت حرام مستقذَر، وكذا الغيبة حرام في الدين وقبيح في النفوس.

وقال قتادة: كما يمتنع أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا، كذلك يجب أن يمتنع من غيبته حيًا.

قال الحافظ: فقد نهي عن الغيبة، وقد فسرها الشارع كما جاء في الحديث المتقدم، والغيبة محرمة بالإجماع، ولا يُستثنى من ذلك إلا ما رجحت مصلحته، كما في الجرح والتعديل والنصيحة، كقوله صلى الله عليه وسلم لما استأذن عليه ذلك الرجل الفاجر: «ائذنوا له بئس أخو العشيرة أو ابن العشيرة» [متفق عليه].

وكقوله صلى الله عليه وسلم لفاطمة بنت قيس ، وقد خطبها معاوية وأبو الجهم : «أما معاوية فصعلوك ، وأما أبو الجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه» [رواه مسلم]. وكذا ما جرى مجرى ذلك ، ثم بقيتها على التحريم الشديد، وقد ورد فيها الزجر الأكيد، ولهذا شبّهها تعالى بأكل اللحم من الإنسان الميت، كما قال تعالى : (أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ) [الحجرات: ١٢] أي : كما

تكرهون هذا طبعًا، فاكرهوا ذاك شرعًا، فإن عقوبته أشد من هذا ، وهذا من التنفير عنها والتحذير منها. اهـ.

ويشير ابن كثير أنَّ من الحالات التي تجوز فيها الغيبة حالتين :

١- الجرح والتعديل.

٢- النصيحة بشرط أن تكون خالصة لوجه الله تعالى.

يقول الإمام النووي: تُباح الغيبة لغرض شرعي، وذلك لستة أسباب:

أولها: التظلم:

فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي وغيرهما ممن له ولاية أو قدرة على إنصافه من ظالمه، فيقول: ظلمني فلان، أو فعل بي كذا.

الثاني: الاستغاثة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى الصواب...

الثالث: الاستفتاء :

بأن يقول للمفتي: ظلمني فلان أو أبي أو أخي أو زوجي بكذا...

الرابع: تحذير المسلمين من الشر:

وذلك من وجوه منها: جرح المجروحين من الرواة والشهود والمصنفين، وذلك جائز بالإجماع بل واجب صونًا للشريعة.

الخامس: أن يكون مجاهرًا بفسقه أو بدعته. كالمجاهرة بشرب الخمر، ومصادرة أموال الناس، وجباية المكوس، وتولي الأمور الباطلة، فيجوز ذلك بما يُجاهر به، ولا يجوز بغيره إلا بسبب آخر.

السادس: التعريف:

فإذا كان معروفًا بلقب كالأعمش والأعرج والأزرق والقصير والأعمى والأقطع ونحوها، جاز تعريفه به ويحرم ذكره به تنقصًا، ولو أمكن التعريف بغيره كان أولى. اهـ. [صحيح مسلم بشرح النووي (٢١٤/١٦)].

حكم الغيبة والتحذير منها:

قال الإمام القرطبي رحمه الله : لا خلاف أن الغيبة من الكبائر ، وأن من اغتاب أحدًا عليه أن يتوب إلى الله عز وجل.

وقال ابن حجر الهيثمي رحمه الله - كل منهما - أي الغيبة والنميمة حرام بالإجماع، وإنما الخلاف في الغيبة هل هي كبيرة أو صغيرة؟ ونُقل الإجماع على أنها كبيرة.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنبي صلى الله عليه وسلم: حسبك من صفية كذا وكذا ، قال بعض الرواة : تعني أنها قصيرة ، فقال : «لقد قلت كلمة لو مُزجت بماء البحر لمزجته» [أبو داود والترمذي وصححه الألباني].

وعن أبي برزة الأسلمي والبراء بن عازب رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوارتهم، فإن من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته، يفضحه ولو في جوف بيته» [الترمذي وحسنه الألباني].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه في قصة ماعز بن مالك الأسلمي رضي الله عنه، وقد طلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطهره من الزنا، فلما أمر النبي برجمه، سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلين يقول أحدهما لصاحبه: ألم تر هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رُجِمَ رَجْم الكلب.

ثم سار النبي صلى الله عليه وسلم حتى مر بجيفة حمار فقال: «أين فلان وفلان ؟ انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار». قالا: غفر الله لك يا رسول الله وهل يؤكل هذا ؟ قال صلى الله عليه وسلم: «فما نلتما من أخيكما آنفا أشد أكلا منه والذي نفسي

بيده إنه الآن في أنهار الجنة ينغمس فيها» [أبو داود وقال الحافظ ابن كثير: إسناده صحيح].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لما عُرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل، قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم» [أبو داود وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٥٣٣)].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقام رجل - أي غاب عن المجلس - فوقع فيه رجل من بعده ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «تخلل -وهو استعمال الخلال لإخراج ما بين الأسنان من الطعام-، فقال: وممَّ أتخلل؟ وما أكلت لحمًا، قال: إنك أكلت لحم أخيك» [رواه الطبراني وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح].

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: «بينما أنا أماشي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو آخذ بيدي، ورجل على يساره، فإذا نحن بقبرين أمامنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنهما ليعذبان، وما يُعذبان في كبير، بلى، فأيكم يأتيني بجريدة؟» فاستبقنا فسبقتُه، فأتيته بجريدة، فكسرها نصفين، فألقى على ذا القبر قطعة، وعلى ذا القبر قطعة، قال: «إنه يهوَّن عليها ما كانتا رطبتين وما يعذبان إلا في الغيبة والبول» [رواه الإمام أحمد وابن ماجه وصححه الألباني].

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه مَرَّ على بغل ميت، فقال لبعض أصحابه: «لأن يأكل الرجل من هذا حتى يملأ بطنه خير من أن يأكل لحم رجل مسلم» [رواه البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني].

ولذلك قال بعض السلف: الغيبة ضيافة الفساق.

وعن إبراهيم بن آدم: أنه أضاف رجالاً، فلما قعدوا على الطعام جعلوا يتناولون رجلاً، فقال إبراهيم: إن الذين كانوا قبلنا كانوا يأكلون الخبز قبل اللحم، وأنتم بدأتم باللحم قبل الخبز.

وسمع علي بن الحسين رجلاً يغتاب آخر، فقال: «إياك والغيبة، فإنهما إدام كلاب الناس».

وقال الحسن: والله للغيبة أسرع في دين المؤمن من الأكلة في جسده!!

وقد عمل السلف رحمهم الله على محاسبة أنفسهم إذا اغتابوا أحدًا من الناس، وهذا ثمرة العلم النافع.

بل إن المغتاب في الحقيقة يقدم حسناته إلى من يغتابه، حتى إن عبد الرحمن بن مهدي قال: «لولا أني أكره أن يُعصى الله، لتمنيت أن لا يبقى أحد في المصر إلا اغتابني، أي شيء أهنأ من حسنة يجدها الرجل في صحيفته لم يعمل بها»!!

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.

وللحديث بقية إن شاء الله.

أثر السياق في فهم النص

ضوابط الفروق بين البدعة والمصلحة المرسلة

الحلقة ٤٥

إعداد/ متولي البراجيلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعدُ:

تحدثنا في الحلقة السابقة عن أقسام المصلحة، وشروطها، وعن البدعة، وعن قواعد في البدع، فذكرنا منها ثلاث قواعد، ونستأنف البحث:

القاعدة الخامسة : النية الحسنة لا تُخرج العمل المُحْدَث عن كونه بدعة:

يحتج البعض بحديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى..» [متفق عليه] بأنه طالما كانت النية خالصة لله تعالى فإن ذلك يؤدي إلى قبول العمل، وليس ذلك بصحيح؛ لأن المقصود بالعمل في الحديث، هو ما ورد في الشرع، بدليل قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد». [رواه مسلم].

فهناك شرطان لقبول العمل، هما:

١- أن يكون خالصًا لله، لا تشرك فيه مع الله أحدًا.

٢- أن يكون صوابًا، أي وفق ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد جمعهما الله تعالى في قوله: (فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) [الكهف: ١١٠]، وقال الفضيل بن عياض - يرحمه الله - في تفسير العمل الحسن: أخلصه وأصوبه، فقيل له: ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصًا، ولم يكن صوابًا لم يُقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يُقبل، حتى يكون خالصًا صوابًا، فالخالص ما كان لله، والصواب ما كان على السنة.

فالله تعالى لم يتركنا ليختار كل منا طريقة خاصة لعبادته ، بل أنزل كتابه وأرسل رسوله صلى الله عليه وسلم ليبين لنا ويحدد: كيف نعبد الله تعالى، فما من عبادة إلا وقد بيّنها الرسول صلى الله عليه وسلم قولاً وعملاً.

ولزوم ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ليس أمرًا اختياريًا، ولكنه حتم وفرض، فرضه الله على عباده، لقوله تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) [الحشر: ٧].

وقال تعالى : (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا) [الأحزاب: ٣٦].

وانظر إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كيف أنكر على بعض التابعين ما يعملونه، مع صدق نياتهم، عندما جاءه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قائلاً له: إني رأيت في المسجد آنفًا أمرًا أنكرته، ولم أر والحمد لله إلا خيرًا، قال: فما هو ؟ فقال : إن عشت ستراه، قال: رأيت في المسجد قومًا حلقًا جلوسًا، ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصى، فيقول: كبّروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول هللوا مائة، فيهللون مائة، ويقول سبّحوا مائة، فيسبحون مائة، قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئًا انتظار رأيك، قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم، وضمنت لهم ألا يضيع من حسناتهم شيء ؟ ثم مضى ومضينا معه، حتى أتى حلقة من تلك الحلَق، فوقف عليهم، فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن، حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح، قال: فعدوا سيئاتكم فأنا ضامن

ألا يضيع من حسناتكم شيء ، ويحكم يا أمة محمد ! ما أسرع هلكتكم ! هؤلاء صحابة نبيكم صلى الله عليه وسلم متوافرون، وهذه ثيابه لم تُبْلَ، وآنيته لم تُكْسَر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد ، أو مفتتحو باب ضلالة؟!

قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير، قال: وكم من مريد للخير لا يبلغه.. [سنن الدارمي وهو في السلسلة الصحيحة ح٢٠٠٥].

فهؤلاء ظنوا أنهم يفعلون الخير، لكنهم أتوا بشرط واحد من شرطي صحة العمل: ألا وهو النية الخالصة لله تعالى ، ولم يحققوا الشرط الثاني: وهو أن تكون العبادة وفق سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

وهذا الإنكار من ابن مسعود رضي الله عنه يقضي على حجة المبتدعين الذين يقولون: وأي مانع يمنع من الأذكار والصلوات وغيرها، طالما لا يريد بها العبد إلا التقرّب إلى الله تعالى!!

فيُرَد عليهم : بأن العبادات مبناها على التوقيف، وينبغي أن تكون مشروعة في أصلها وفي هيئتها وكيفيتها؛ «فالنية الحسنة لا تجعل البدعة سنة».

القاعدة السادسة : اختلاف العلماء في عمل ما ، هل هو بدعة أم لا ، ليس مسوِّغًا لأن نفعله المكلف بلا تبيُّن :

بل نأخذ بقول من معه الحجة والدليل ، بضوابط الدليل؛ كأن يكون قطعيًا، وأن نجمع النصوص الواردة في الباب، وأن نضبط هذا بأقوال أهل العلم وقواعد العلم المتعارف عليها، وغير ذلك.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «وليس لأحد أن يحتج بقول أحد في مسائل النزاع، وإنما الحجة النص والإجماع، والدليل مستنبط من ذلك ، تُقرِّر مقدماته بالأدلة الشرعية، لا بأقوال بعض العلماء، فإن أقوال العلماء يُحتج لها بالأدلة الشرعية لا يُحتج بها على الأدلة الشرعية». [مجموع الفتاوى ٢٦/٢٠٢].

مثال ذلك : الصلاة في المساجد التي بُنيت على القبور :

فإن من يصلي فيها يقول : إن المسألة خلافية. فهل نجعل ذلك مسوِّغًا للصلاة فيها ؟ أم نبحث عن الدليل ، وماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في شأنها .

ففي الحديث عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مرضه الذي لم يقم منه: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». [متفق عليه].

وعن جندب رضي الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : «ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك». [أخرجه مسلم]. وغير ذلك من الأحاديث التي في الباب .

مسألة: هل النهي يقتضي الفساد؟

وهنا يُثار سؤال: هل النهي يقتضي الفساد؟ بمعنى إذا جاء نص من الكتاب أو السنة بالنهي عن الفعل ، ولم يوجد لذلك النهي ما يصرفه عن دلالته على التحريم، فهل يدل التحريم لذلك الفعل على فساده وبطلانه ، أم لا؟

هذه مسألة خطيرة لأنها تندرج تحتها أحكام كثيرة ، وقد اختلف أهل العلم فيها على مذاهب كثيرة.

فالجمهور على أن النهي يقتضي الفساد، ومن أدلتهم على ذلك :

١- حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد». [متفق عليه].

والرد يعني الإبطال والإفساد، وهذا الحديث قاعدة في إبطال كل عمل على غير وفاق الشرع.

٢- حديث أبي موسى رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «لا نكاح إلا بولي». [صحيح سنن أبي داود وغيره].

ومن المعلوم أنه لم يرد بذلك نفس الفعل؛ لأن الفعل لا يمكن رفعه، وإنما أراد نفي حكمه، يعني نفي صحة النكاح، فاقتضى ذلك أن الفعل إذا وُجد على الصفة المنهي عنها - وهو النكاح في الحديث - لم يكن له حكم ،

وكان وجوده كعدمه.
٣- والصحابة رضي الله عنهم استدلوا على فساد العقود بالنهي عنها :
من ذلك احتجاج ابن عمر رضي الله عنهما في فساد نكاح المشركات بقوله تعالى : ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ ﴾ [البقرة: ٢٢١]. وكذلك استدلالهم على فساد العقود الربوية بحديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه عبادة بن الصامت رضي الله عنه : «لا تبيعوا الذهب بالذهب، ولا الورق بالورق، ولا البُرّ بالبُرّ، ولا الشعير بالشعير ولا التمر بالتمر ولا الملح بالملح، إلا سواءً بسواء عينًا بعين يدًا بيد». [صحيح مسلم].
فلو كان إطلاق النهي لا يقتضي الفساد، لم يحتجوا بظاهر الكلام .
كما أن المنهي عنه مفسدته راجحة، وإن كانت فيه مصلحة فهي مرجوحة بمفسدته، فما نهى الله عنه وحرَّمه إنما أراد منع وقوع الفساد ودفعه ؛ لأن الله إنما ينهى عما لا يحبه، والله لا يحب الفساد ، فعُلم أن المنهي عنه فاسد ليس بصالح.
لذا قال شيخ الإسلام : «ولا يوجد قط في شيء من صور النهي صورة ثبتت فيها الصحة بنص ولا إجماع...». [مجموع الفتاوى ٢٨٣/٢٩].
فإذا كان الجمهور - كما ذكرنا - على أن النهي يقتضي الفساد ، فإن من أهل العلم من فصَّل فيها كالآتي :
١- الفرق بين النهي عن الشيء لذاته أو لغيره : فالمنهي عنه لذاته يقتضي الفساد ، وهو محرم على أي صورة وقع ، ولا يمكن أن يكون حلالاً، وذلك كتحريم الخمر والربا.
والمنهي عنه لغيره ، سدًا للذريعة، فهو إن جُرِّد من الذريعة لم يكن فيه مفسدة ولا يقتضي الفساد، بمعنى أن أصل الفعل حلال، وذلك كالنهي عن الصلاة في أوقات النهي، والصوم يوم العيد.
٢- أن النهي يقتضي الفساد في العبادات دون المعاملات، باعتبار أن المعاملات فيها حق للآدمي وله الخيار، فإن شاء أمضى المعاملة وصحت وإن شاء فسخ المعاملة ، فهناك فرق بين العبادات والمعاملات من وجهين :
أحدهما : أن المقصود من العبادات هو التقرب إلى الله تعالى ، وارتكاب النهي معصية، فلا يجتمعان ، بخلاف المعاملات، فإنها ليست للتقرب (وإن كان يؤجر عليها، خاصة إذا صاحبتها نية صالحة)، فلا يناقضها ارتكاب النهي.
الوجه الثاني: أن فساد المعاملات بالنهي يضر بالناس، ويفضي إلى قطع معايش الناس أو تقليلها، فراعى الشرع مصلحتهم، وعليهم إثم ما ارتكبوا من المنهيات.
أما العبادات : فإنها حق لله تعالى فتعطيلها بإفسادها بسبب النهي لا يُضَرّ به سبحانه ، بل من أوقعها صحيحة كان مطيعًا، ومن لم يوقعها بسبب صحيح كان عاصيًا.
٣- أن النهي ينقسم إلى ما له جهة واحدة، كحرمة الزنا والربا، فهذا لا خلاف أنه يقتضي الفساد، وإلى ما له جهتان، هو من إحداهما مأمور به، ومن الجهة الأخرى منهي عنه، وذلك كالنهي عن الصلاة في الأرض المغصوبة، فله جهتان: جهة الأمر بالصلاة، وجهة النهي عنها في الأرض المغصوبة، فهل الصلاة تصح في هذه الحالة مع إثم الغصب، أما أنها تبطل؟ وهذا ما يسمى «انفكاك الجهة»، وأكثر أهل العلم على صحة الصلاة مع إثم الغصب.

- دور القرائن في توجيه النهي:

كون النهي يقتضي الفساد مشروط بأن يتجرد النهي عن القرائن ، أما مع وجود القرائن فيختلف الحال، إذ يقتضي النهي هاهنا ما دلت عليه القرينة.
ومن أمثلة ذلك :
١- حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنها، قال : نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ثمن الكلب ، وإن جاء يطلب ثمن الكلب فاملأ كفَّه ترابًا. [صحيح سنن أبي داود].
فأبطل العوض عنه (ثمنه)، وهذا إبطال للبيع وإفساد، فالنهي هنا قد اقتضى الفساد بالنص.
٢- حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه

قال: أكلت ثومًا، ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فوجدته قد سبقني بركعة، فلما قمت أقضي وجد ريح الثوم، فقال: «من أكل من هذه البقلة فلا يقربن مسجدنا حتى يذهب ريحها».

قال المغيرة: فلما قضيت الصلاة أتيته، فقلت يا رسول الله، إن لي عذرًا، فناولني يدك، فناولني فوجدته والله سهلاً، فأدخلتها في كمي إلى صدري فوجده معصوبًا، فقال: «إن لك عذرًا». [صحيح سنن أبي داود].

فنهي النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة في المسجد لمن أكل ثومًا حين شمَّ رائحة من بعض أصحابه، ولم يرتب على ذلك شيئًا من إعادة صلاة أو غيرها، مع اقتضاء المقام للبيان، فدل ذلك على صحة الصلاة.

٣- حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا تُصرُّوا الإبل والغنم، فمن ابتاعها بعد ذلك فهو بخير النظرين بعد أن يحلبها، فإن رضيها أمسكها، وإن سخطها ردَّها وصاعًا من تمر. [متفق عليه].

فمع النهي عن التصرية (وهي حبس اللبن وعدم حلبه لتبدو غزيرة اللبن)، فقد صح البيع حيث جعل للمشتري الخيار بسبب المضرة الحاصلة له وهو الخداع بالتصرية.

فيكون الأدق أن نقول: إن مطلق النهي - العاري عن القرائن - يقتضي الفساد.

(انظر العدة في أصول الفقه للقاضي أبي يعلى ابن الفراء ٢/٤٢٢- ٤٤٠، روضة الناظر لابن قدامة ١/٦٠٥، ٦٠٦، المسودة في أصول الفقه لآل تيمية ١/٨٢- ٨٣، معالم أصول الفقه للجيزاني ٤١٤- ٤١٦، وتحقيق المراد بأن النهي يقتضي الفساد للعلائي، تيسير علم أصول الفقه للجديع ١/٢٥٥- ٢٥٩).

القاعدة السابعة: انتشار عبادة وشيوعها بين الناس ليس دليلاً على مشروعيتها:

فإن المشروعية لا تكون إلا بدليل، فالعبادة لا تؤخذ من كثرة عمل الناس لها وتتابعهم عليها.

فإن غالب الناس يقلد بعضهم بعضًا دون التحري عن مستندهم في هذا العمل أو تلك العبادة، والحق أن هذه القاعدة من أكثر ما يحتج به العوام والمبتدعة على بدعتهم، فيقولون: إن كل الناس يفعلون ذلك، فهل كل هؤلاء لا يعلمون شيئًا.

واعلم أن الكثرة ليست دليلاً من أدلة صحة العمل، بل إن الله تعالى كثيرًا ما ذمَّ تلك الكثرة التي تجتمع على ضلال ويقلد بعضهم بعضًا، فقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وقال: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير، ويربو فيها الصغير، ويتخذها الناس سنة، إذا ترك منها شيء، قيل: تركت السنة؟ قالوا: ومتى ذاك؟ قال: إذا ذهبت علماؤكم، وكثرت قراؤكم، وقلت فقهاؤكم، وكثرت أمراؤكم، وقلت أمناؤكم، والتُمست الدنيا بعمل الآخرة، وتُفُقِّه لغير الدين. [مستدرك الحاكم وغيره، وهو صحيح أشار الشيخ الألباني إلى صحته في صحيح الترغيب والترهيب].

والحديث وإن كان موقوفًا على ابن مسعود رضي الله عنه، فهو في حكم المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن هذا من أمور الغيب التي لا تُقال بالرأي، لاسيما وقد وقع ما في الحديث من تنبؤات.

قال الألباني رحمه الله: وهذا الحديث من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم وصدق رسالته، فإن كل فقرة من فقراته قد تحققت في العصر الحاضر، ومن ذلك كثرة البدع، وافتتان الناس بها حتى اتخذوها سنة، وجعلوها دينًا يُتبع. [قيام رمضان للألباني ١/٥- ٦].

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله
قواعد ربانية للمجتمع المسلم

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١٢]

من فضائل الصحابة

عن أبي إسحاق أن رجلاً وقع في عائشة رضي الله عنها وعابها، فقال له عمار: «ويحك ما تريد من حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! ما تريد من أم المؤمنين؟! فأنا أشهد أنها زوجته في الجنة»، بين يدي عليّ وعليّ ساكت. [مسند أحمد].

حكم ومواعظ

عن أبي إسحاق القرشي قال: كتب إليّ أخي من مكة: «يا أخي! إن كنت تصدقت بما مضى من عمرك على الدنيا وهو الأكثر، فتصدق بما بقي من عمرك على الآخرة وهو الأقل» [الزهد للبيهقي].

من نصائح السلف

عن الأوزاعي قال: « اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكفَّ عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم.» [شرح السنة للالكائي]

من معاني الأحاديث

قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: «من صلى البردين دخل الجنة» البردان الغداة والعشي (أي صلاتي الفجر والعصر) وهما الأبردان، وإنما قيل: أبردان لطيب الهواء وبرده في هذين الوقتين. [غريب الحديث للخطابي].

من حكمة الأمثال

احذر أن تكون هذا الجار «بِعْتُ جَارِي وَلَمْ أَبِعْ دَارِي»، أيَ: كنت راغبًا فيَ الدار، إلا أن جاري أساء جواري فبعت الدار.
وعن الصقعب بن عمرو قال: «جارُ السوءِ الذي إن قاولته بَهَتَك، وإن غبت عنه سَبَعَك» (سبعك: اغتابك) .[مجمع الأمثال]

إعداد: علاء خضر

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

تحذيره صلى الله عليه وسلم من الجدال

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ»

[أبو داود وحسنه الألباني].

من دلائل النبوة

عن جابر- رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم من سفر. فلمّا كان قرب المدينة هاجت ريح شديدة تكاد أن تدفن الرّاكب. فزعم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بعثت هذه الرّيح لموت منافق» فلمّا قدم المدينة، فإذا منافق عظيم من المنافقين، قد مات. [صحيح مسلم].

من أخلاق الإسلام

برُّ غير المسلمين وصلتهم

عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُلْتُ: وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: «نَعَمْ، صِلِي أُمَّكِ» [متفق عليه].

من دعائه صلى الله عليه وسلم

عن نافع، عن ابن عمر قال: «إن كنا لنعد في المجلس للنبي صلى الله عليه وسلم: «رب اغفر لي، وتب علي، إنك أنت التواب الرحيم» مائة مرة.

[البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني].

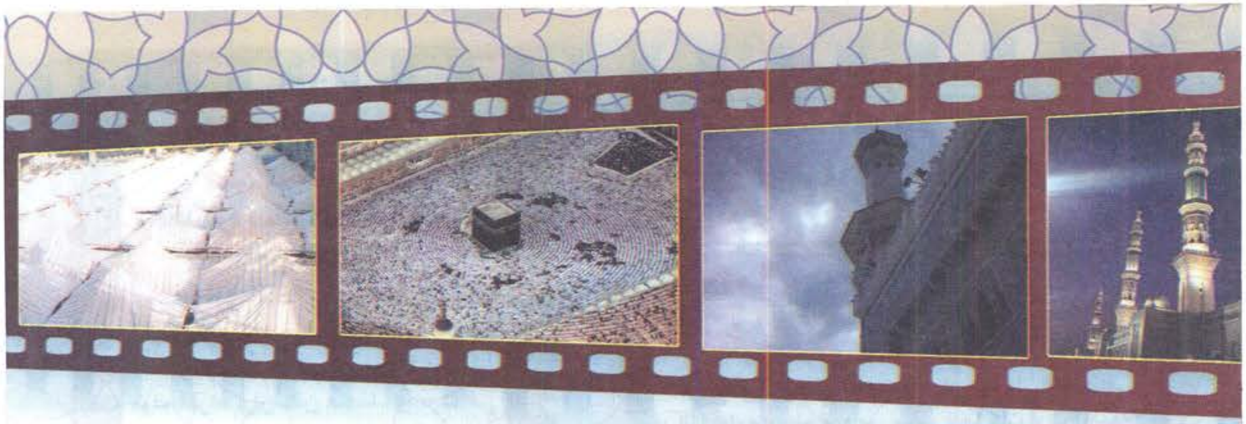
أحاديث باطلة لها آثار سيئة

«حسبي من سؤالي علمه بحالي». لا أصل له وهو من الإسرائيليات. وهذا خلاف السنة التي فيها الحث الحث علي الطلب والدعاء من الله عز وجل، ويخالف حديث المصطفى: «من لا يدعو الله يغضب عليه».

[السلسلة الضعيفة للألباني].

حكم الاحتفال بالمولد النبوي

قال تاج الدين عمر بن علي اللخمي الإسكندراني: «لا أعلم للاحتفال بهذا المولد أصلاً في كتاب ولا سنة، ولا يُنقل عمله عن أحد من علماء الأمة الذين هم القدوة في الدين، المتمسكون بآثار المتقدمين، بل هو بدعة أحدثها البطالون». [المورد للفكهاني].



الإسلام يريد الـ

الحمد لله جعل التآخي سمةً من سمات أهل الإسلام، ولازمًا من لوازم الإيمان، وصيَّر عبادَهُ بعد الفرقة كأشدّ وأقوى بنيان، وأصلي وأسلم على نبينا محمد الصادق الأمين الذي آخى بين المؤمنين، وسعى إلى التأليف بين قلوب المسلمين، فجمع الله به بعد الفُرقة، وأغنى به بعد العَيْلَة، وأعزَّ به بعد الذلة، فصلوات الله وتسليماته عليه وعلى آله الأطهار، وصحبه الأخيار، المهاجرين منهم والأنصار، والتابعين ومن تبعهم بإحسان ما تعاقب الليل والنهار.

أما بعدُ:

فإنَّ الإسلام يريد لأهله حياة طيبه في الدنيا والآخرة ، ومن أعظم أسباب سعادة الدنيا أن تسودهم المحبة، وتنتشر بينهم المودة، حتى يكون المجتمع كله على قلب رجل واحد، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إنَّ المؤمنين كالبنيان يشدُّ بعضه بعضًا - وشبَّك صلى الله عليه وسلم أصابعه». [البخاري: ٤٨١، ومسلم: ٢٥٨٥].

وقال صلى الله عليه وسلم: «مَثَل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضوٌ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى». [البخاري: ٦٠١١، ومسلم: ٢٥٨٦].

ومن المبادئ العظيمة التي أرسى دعائمها ديننا الحنيف: مبدأ الأخوة بين أهل الإيمان، قال تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) [الحجرات: ١٠]. هذه الأخوة لا تتغير بتغير الأحداث والزمان، ولا تختلف باختلاف القوم والمكان، بل تجمع أهل الإسلام على تباعد الأقطار، وتنائي الديار، واختلاف البقاع والأمصار، أُخوةٌ أساسها العقيدة والإيمان، وقاعدتها الدينُ الخالصُ للواحد الديان، أخوة متينة البناء لا تنالُ منها العواصف الهوجاء، وتقضي على العصبيَّات القومية، والفوارق الجنسية، يقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [الحجرات: ١٣].

فهذه الأُخوة التي أُمرنا بها ليست أخوة نظرية فحسب، ولكنها أخوة عملية عميقة كامنة في النفوس والقلوب، غَرْسُها إخلاص الودّ، وثمرتها المعاملة الحسنة، كحال سلفنا الصالح - رضوان الله عليهم-.

وأشهر المؤاخاة: مؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم، فكان لكل أنصاري أخٌ له من المهاجرين، حتى إنَّ الأنصاريَّ ليذهب بأخيه المهاجر إلى بيته، فيعرض عليه قسمة كُلِّ شيء في بيته من مال أو متاع، ويشاركه حياته.

عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: «لما قدمنا المدينة آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبين سعد بن الربيع، فقال سعدُ بن الرَّبيع: إني أكثر الأنصار مالاً، فاقسمُ لك نصف مالي، وانظر إلى أيِّ زوجتي هَويتَ نزلتُ لك عنها، فإذا حلت تزوجتها، فقال له عبد الرحمن: لا حاجة لي في ذلك، هل من سُوق فيه تجارة؟» [البخاري: ٢٠٤٨/٢٨٨/٤].



سعادة للمسلمين

إعداد/ عبده أحمد الأقرع

فأيُّ إخاءٍ في الدنيا يعدل هذا الإخاء الإسلامي؟!!

فحسبهم ثناء الله عليهم بقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

وإنه لا يزال المجتمعُ بخير ما عرف فيه أفراده حقوق بعضهم تجاه بعض، وسادت بينهم الأخلاق الفاضلة، ومن هذه الحقوق:

أولاً: الحب في الله:

إن التحاب في الله والأخوة في دينه من أفضل القُرُبَات، منها: ذوق حلاوة الإيمان.

وحلاوة الإيمان تفوق كل حلاوة، حلاوة يجدها الإنسان في قلبه، ولذة عظيمة لا يساويها شيء، يجد انشراحًا في صدره، رغبة في الخير، حلاوة لا يعرفها إلا من ذاقها بعد أن حُرِمها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاثٌ من كن فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، ومن أحبَّ عبدًا لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يُقذف في النار». [متفق عليه: البخاري: ١/٥٨، ٥٦، ومسلم: ٤٣].

ومنها : الظفر بمحبة الله :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما تحابَّ رجلانِ في الله إلا كان أحبُّهما إلى الله عزَّ وجلَّ أشدُّهما حبًا لصاحبه». [صحيح الترغيب: ٣٠١٤].

ومنها: أنه أوثق عُرى الإسلام:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن أوثق عُرى الإسلام: أن تُحبَّ في الله، وتبغض في الله». [صحيح الجامع: ٢٠٠٩].

ومنها الفوز بكرم الله :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما أحبَّ عبدٌ عبدًا لله إلا أكرمهُ الله عزَّ وجل». [صحيح الجامع: ٦٩٣٩].

ومنها: كمال الإيمان :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من أحبَّ لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان». [صحيح الجامع: ٦٩٦٥].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن لله جُلساءَ يوم القيامة عن يمين العرش، وكلتا يدي الله يمينٌ، على منابر من نور، وجوههم من نور، ليسوا بأنبياء ولا شهداء ولا صديقين». قيل: يا رسول الله، مَن هم؟ قال: «هم المتحابون بجلال الله تبارك وتعالى». [صحيح الترغيب: ٣٠٢٢].

ومنها: المتحابون في الله وجوههم نور:

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليبعثن الله أقوامًا يوم القيامة في وجوههم النور، على منابر اللؤلؤ، يغبطهم الناس، ليسوا بأنبياء ولا شهداء».

فجثا أعرابيٌ على رُكبتيه، فقال: يا رسول الله، جَلِّهم لنا نعرفهم؟ قال: هم المتحابُّون

في الله من قبائل شتَّى يجتمعون على ذكر الله يذكرونه». [صحيح الترغيب: ٣٠٢٥].

ومنها: أن يُحشر المرء مع من أحبَّ :

عن أنس رضي الله عنه : أنَّ رجلاً سألَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: متى الساعة؟

قال: «وما أعددت لها؟» قال: لا شيء، إلا إني أحبُّ الله ورسوله. فقال: «أنت مع من أحببت». قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «أنت مع من أحببت». قال أنس: فأنا أحبُّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم، وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبِّي إياهم، وإنْ لم أعمل عملَهم. [متفق عليه].

هذه الثمرات من الحبِّ ليست كلاماً بلا معني، ولكنها إخاءٌ روحيٌ وتعاقدٌ على الوفاء بتعاليم الإسلام، إخاءٌ خالصٌ لله وودٌ قائمٌ على الإيمان بالله، وترابطٌ يشدُّهُ حبل الله ومنّة منه سبحانه: (وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ) [الأنفال: ٦٢- ٦٣].

وهذا الحبُّ كما يكون بين الإخوان والرفاق المتعاصرين فإنه يحمل طابع الاستمرار والبقاء ما بقي الإيمانُ فلا يقتصرُ هذا الحبُّ على أبناء الجيل، ولكنه حبُّ الخلف الصالح للسلف الصالح، فتحسُّ الأمةُ برابطة علوية تجمعُها بسلفها وتشدُّها إليه، قال الله تعالى: (وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ) [الحشر: ١٠].

ثانيًا: الإيثار:

وهذا لا يكون إلا من خُلُق زكي، ومحبة لله تعالى، فالمسلم متى رأى مجالاً للإيثار آثر غيره على نفسه، وفضَّله عليها، فقد يجوع ليشبع غيره، ويعطش ليروي سواه، ولقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في الإيثار: فعَنْ سَهْلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبُرْدَةٍ مَنْسُوجَةٍ فِيهَا حَاشِيَتُهَا- قال سهل لأصحابه: أَتَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ؟ قالوا: الشَّمْلَةُ. قَالَ نَعَمْ- قَالَتْ: نَسَجْتُهَا بِيَدِي فَجِئْتُ لِأَكْسُوَكَهَا، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا إِزَارُهُ، فَحَسَّنَهَا فُلَانٌ، فَقَالَ: اكْسُنِيهَا مَا أَحْسَنَهَا! قَالَ الْقَوْمُ: مَا أَحْسَنْتَ؛ لَبِسَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، ثُمَّ سَأَلْتَهُ وَعَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ، قَالَ: إِنِّي وَاللَّهِ مَا سَأَلْتُهُ لِأَلْبَسَهُ، إِنَّمَا سَأَلْتُهُ لِتَكُونَ كَفَنِي، قَالَ سَهْلٌ: فَكَانَتْ كَفَنَهُ. [البخاري: ٣/١١٣، ١١٤].

وقد تأسى الأنصار – رضوان الله عليهم – برسول الله صلى الله عليه وسلم في الإيثار، فأثنى الله عليهم، ومدحهم، وأنزل الله فيهم قرآنًا يُتلى : (وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ) [الحشر: ٩].

وهذه صور تشكل أنموذجًا حيًا لخُلق المسلم في الإيثار وحب الخير، لعل المسلم يُورد عليها خاطره فيعود مشبَّعًا بروح حب الخَير والإيثار:

أتى أبا هريرة رضي الله عنه رجلٌ، فقال: يا أبا هريرة: إني أريد أنْ أواخيك في الله، فقال أبو هريرة: وهل تدري ما حق الأخوة؟ قال: لا، عرِّفني، قال: إنَّ من حق الأخوة ألا تكون أحقَّ بدرهمك ولا دينارك مني. فقال الرجل: لم أبلغ هذه المنزلة. قال: فإليك عني. [منهاج المسلم ص١٣١].

وقال أبو جعفر لأصحابه يومًا: أَيُدْخل أحدُكم يده في جيب أخيه فيأخذ من ماله ما يريد؟ قالوا: لا. قال: فلستم بإخوان كما تزعمون. [مختصر منهاج القاصدين: ص١٠٠].

وقال بعض السلف: ما كنتُ لأقول لرجل: إني أحبُّك في الله، فأمنعه شيئًا من الدنيا، وقال بعضهم: إني لأستحيي من الله أن أسأل الجنة لأخ من إخواني ثمَّ أبخل عنه بدينار أو درهمٍ.

إذن من حقِّ هذه الأخوة، ودلائل صدق المحبة، أن يشعر المسلم أن إخوانه مظاهرون

له في السراء والضراء.

ثالثًا: حب الخير لهم:

قال صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه». [البخاري: ١٣، ومسلم: ٤٥].

رابعًا: التواصي بالحق والصبر وأداء النصيحة إليه، وتبيين الطريق له وإعانته على الخير ودفعه إليه:

قال الله تعالى: (وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) [العصر: ١- ٣].

خامسًا: الذب عن عرض أخيه:

قال صلى الله عليه وسلم: «من ذبَّ عن عرْض أخيه بالغيبة، كان حقًّا على الله أن يُعتقه من النار». [صحيح الجامع: ٦٢٤٠].

وإلا فإنَّ خذلان المسلم شيءٌ عظيمٌ، وهو - حين يحدث - ذريعةٌ إلى التخاذل بين المسلمين جميعًا، بل إنه لما هان المسلمون أفرادًا هانوا أممًا، فوهنتْ أواصر الأخوة بينهم، بل وصل الحالُ إلى أنْ أصبحَ المسلمُ يُنتقصُ أمام أخيه فلا يحرّكُ ساكنًا، ولا يزيدُ على أن يَهزَّ كتفه - إن هزَّهما - ويمضي لشأنه، وكان الأمر لا يعنيه، وهذه الأنانية آفةٌ قاتلةٌ، إذا سيطرت على امرئ أفسدت عليه دنياه وأخراه.

سادسًا: إحسان الظن:

ينبغي أن يسودَ حسنُ الظنِّ بالمؤمنين، والاطمئنان إلى طوِّيتهم، والثقةُ بحسن نواياهم، وتغليبُ جانبِ الصدق في أقوالهم والخير في تصرفاتهم، ما دامت أحوالُهم الظاهرةُ مأمونةً، والمساوئُ مستورة، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «من خدعنا بالله انخدعنا له».

وليكنْ حظُّ أخيك منك ثلاثًا: إنْ لم تنفعه فلا تضرَّه، وإنْ لم تُفرحه فلا تغمَّه، وإن لم تمدحه فلا تذمه، وهذا من أهمِّ السجايا الحميدة التي ينبغي أن تسود بين أفراد المجتمع المسلم.

سابعًا: من حقوق المسلم على المسلم لين الجانب، وصفاء السريرة وطلاقة الوجه، قال صلى الله عليه وسلم: «لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق». [مسلم: ٢٦٢٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ولو كان كل ما اختلف مسلمان في شيء تهاجرا، لم يبقَ بين المسلمين عصمةٌ ولا أخوة».

ثامنًا: ومن حق المسلم على المسلم دلالته على الخير، وإعانته على الطاعة، وتحذيره من المعاصي والمنكرات، وردعه عن الظلم والعدوان، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا، قيل: كيف أنصره ظالمًا؟ قال: تحجزه عن الظلم، فإنَّ ذلك نصره». [صحيح الجامع: ١٥٠٢].

حُكِي عن أخوين من السلف انقلب أحدهما عن الاستقامة، فقيل لأخيه: ألا تقاطعه وتهجره، فقال: أحوج ما كان إليَّ في هذا الوقت لما وقع في عثرته؛ أن آخذ بيده، وأتلطَّف له في المعاتبة، وأدعو له بالعودة إلى ما كان عليه!!!

تاسعًا: القيام بالأمور التي تدعو إلى التواد وزيادة الصلة، وأداء الحقوق. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلِّم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعدْه، وإذا مات فاتَّبعه». [مسلم: ٢١٦٢].

عاشرًا: وتكتمل المحبة بين المؤمنين في صورة عجيبة ومحبة صادقة، عندما يكونان متباعدين، وكل منهم يدعو للآخر بظهر الغيب في الحياة وبعد الممات، قال صلى الله عليه وسلم: «دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك مُوَكَّل، كلما دعا لأخيه بخير، قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمثل ذلك». [صحيح الجامع: ٣٣٨٠].

وقال صلى الله عليه وسلم: «من استغفر للمؤمنين وللمؤمنات، كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة». [صحيح الجامع: ٢٠٢٦].

(رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) [الحشر: ١٠].

وجعلنا الله من المتحابين فيه، ورزقنا محبة المؤمنين والقيام بحقوقهم.

حمايـة جنـاب التوحـيد

الحلقة الثانية

إعداد/ معاوية محمد هيكل



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ: حمايةً لجناب التوحيد وصيانة لحماه؛ تحدثنا في المقال السابق عن صور من الشرك الأصغر في الأقوال، وفي هذا المقال نتناول الحديث عن الشرك الأصغر في الأعمال القلبية، فنقول مستعينين بالله تعالى:

ثانيًا: الشرك الأصغر في الأعمال القلبية:

١- التطير:

وهو لغة: مصدر «تطير»، ويسمى «الطيرة»، و«الطير»، وأصله معرفة الخير والشر بدلالة الطير وهو التشاؤم بالطيور.

في الاصطلاح: التشاؤم بمرئي أو مسموع أو معلوم.

أو هو التشاؤم بالطيور والأشياء والألفاظ والبقاع، وغيرها. [القول السديد: ص١١].

مرئي مثل: لو رأى طيرًا فتشاءم لكونه موحشًا.

أو مسموع مثل: من همَّ بأمر فسمع أحدًا يقول: يا خاسر مثلاً، فيتشاءم.

أو معلوم: كالتشاؤم ببعض الأيام أو بعض الشهور أو بعض السنوات. [معارج القبول ٣/٩٩٠، القول المفيد ص٤٤٨].

ومعنى ذلك أن يكون الإنسان قد عزم على أمر ما، فيرى أو يسمع أمرًا لا يعجبه؛ فيحمله ذلك على ترك ما يريد فعله، ويلحق به في الحكم: عكسه وهو أن يرى أو يسمع أمرًا يُسَرّ به، فيحمله ذلك على فعل أمرٍ لم يكن عازمًا مع فعله.

التطير ينافي التوحيد

والتطير ينافي التوحيد من وجهين:

الأول: أن المتطير قطع توكله على الله، واعتمد على غير الله.

الثاني: أنه تعلق بأمر لا حقيقة له، بل هو وهم وتخييل، فأي رابطة بين هذا الأمر وما يحدث له، وهذا لا شك يُخِل بالتوحيد؛ لأن التوحيد عبادة واستعانة، قال الله تعالى: « إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ » [الفاتحة: ٥]، وقال تعالى: « فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ » [هود: ١٢٣]، فالطيرة بذلك محرمة ومنافية للتوحيد، والمتطير لا يخلو من حالين:

الأول: أن يُحجم ويستجيب لهذه الطيرة، ويدع العمل، وهذا من أعظم التطير والتشاؤم.

الثاني: أن يمضي لكن في قلق وهمّ وغمّ، يخشى من تأثير هذا المُتطيَّر به، وهذا أهون. وكلا الأمرين نقصٌ في التوحيد وضرر على العبيد، بل على العبد أن ينطلق إلى ما يريد بانشراح صدر واعتماد على الله ولا يسيء الظن بالله عز وجل.

من أمثلة التطير:

ما كان يفعله أهل الجاهلية من أن أحدهم إذا أراد سفرًا زجر أو أثار طيرًا، فإن اتجه ذات اليمين استبشر وعزم على السفر، وإن اتجه ذات الشمال تشاءم، وترك السفر وقد كثر استعمال أهل الجاهلية للطيور في هذا الأمر؛ حتى قيل لكل من تشاءم: «تطير».

ومن أمثلة التشاؤم أيضًا: التشاؤم بسماع كلمة لا تعجبه كـ «يا هالك مثلاً» أو بملاقاة عجوز أو صاحب عاهة، أو رؤية غراب، أو بومة في أول سفره أو نهاره؛ فيترك السفر أو يترك البيع والشراء في هذا اليوم.

ومن أمثلته أيضًا: التشاؤم ببعض الأشهر كصفر، والتشاؤم ببعض الأرقام كثلاثة عشر، كما يحدث في الوقت الحاضر من بعض أصحاب الفنادق والعمارات فتجد بعضهم لا يضع هذا الرقم في أدوار العمارة أو في المصعد أو في مقاعد الطائرات، وكذلك من يمارسون الرياضة في هذا العصر لا يرتدون الملابس التي تحمل رقم ثلاثة عشر، كل ذلك يفعلونه تشاؤمًا بهذا الرقم ورعبًا منه. وهذا من أعجب العجب.

كما أنه خلل عقدي خطير؛ حيث يُساق الناس خلف هذه الأوهام سوقًا عجيبًا، وتتحكم فيهم الأرقام تحكمًا غريبًا في تصرفاتهم وسلوكياتهم كأن عقولهم ذهبت وتفكيرهم غاب، فالحمد لله على نعمة التوحيد.

التطير من الشرك:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الطيَرة شرك». [رواه أحمد: ٣٦٨٧، وصححه الشيخ أحمد شاكر].

والسبب في كونه شركًا هو ما يعتقده المتطير من أن ما فعله من التطير سبيل إلى دفع مكروه عنه أو جلب الخير له، مع أنه سبب غير صحيح، وهو من خرافات الجاهلية، ومما يزينه الشيطان في نفوس الجهال، فإذا وقع بعض ما تطيروا به في بعض الأحيان جعلهم الشيطان يتعلقون بهذا التطير ويظنون أنه صحيح، كما أن في هذا التطير نوعًا من الاعتماد على الأسباب في دفع الضر وجلب النفع، فهي أسباب باطلة شرعًا وعقلاً، فهو قد اعتمد على سبب لم يجعله الله سببًا، وتعلق قلبه بهذه الأسباب الباطلة، كما أن التطير اعتمادٌ على هذه الأمور الباطلة في دعوى معرفة ما سيكون في المستقبل». [التمهيد: ١٩٥/٢٤، ومسلم بشرح النووي ٢١٩/١٣، القول السديد ١١٦].

تنبيه: هذا الحكم إنما هو في حق من اعتقد أن ما تطير به جعله الله علامة على هذا الأمر المكروه أو سببًا في حصوله، أما من اعتقد أن هذا المتشاءم به يُحدث الشر بنفسه ويفعله استقلالاً أو اعتقد أنه يعلم الذي سيقع في المستقبل ويخبر به، فهذا من الشرك الأكبر. [فيض القدير ٢٩٤/٤، القول المفيد ٥٧٧/١].

دفع إشكال:

أما ما ورد في البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا عدوى ولا طيرة، وإن كان الشؤم في شيء ففي الدار والمرأة والفرس». وفي رواية: «لا عدوى ولا طيرة والشؤم في ثلاث: في المرأة والدار والدابة». [البخاري: ٥٧٥٣].

فالأقرب أن المراد بالشؤم في هذا الحديث ما يكون في بعض أعيان هذه الثلاثة من الضرر المحسوس، كالمرأة السيئة الخلق، والدار الضيقة، أو السيئة الجيران، والفرس السيئة الطباع، ونحو ذلك، كما في الحديث الذي رواه ابن حبان بإسناد حسن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء، وأربع من الشقاوة: الجار السوء، والمرأة السوء، والمسكن الضيق، والمركب السوء». [صحيح الجامع: ٨٨٧].

وللشيخ حافظ حكمي كلام رائع في هذا الباب، ذكره في معارج القبول (ص٨٠١، ٨٠٢) هذا نصه: «والشؤم: ضد اليُمن وهو عدم البركة، والمراد به الأمر المحسوس المشاهد كالمرأة اللسنة المؤذية أو المبذرة بمال زوجها سفاهةً ونحو ذلك، كذلك الدار الجدبة أو الضيقة أو السيئة الجيران، وكذلك الدابة التي لا تلد أو الكثيرة العيوب الشينة الطبع، وما في معنى ذلك، فهذا كله شيء مشاهد معلوم ليس هو من باب الطيرة المنفية، فإن ذلك أمرٌ آخر عند من يعتقده ليس من هذا؛ لأنهم يعتقدون أنها نحس على صاحبها لذاتها لا لعدم مصلحتها، فيعتقدون أنه إن كان غنيًا افتقر لنحاستها عليه، وإنه إن يأخذها يموت بمجرد دخولها عليه، لا بسبب محسوس، بل عندهم أن لها نجمًا لا يوافق نجمه، بل ينطحه ويكسره، وذلك من وحي الشيطان يوحيه إلى أوليائه، قال الله تعالى: «إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ» [الأعراف: ٢٧].

فالمقصود أن الشؤم المثبت في الحديث أمر محسوس ضروري مشاهَد، ليس من باب الطيرة المنفية التي يعتقدها أهل الجاهلية ومن وافقهم.

ما المقصود بالفأل وما هي شروطه؟

معنى الفأل: وهو لفظ مشترك فيما يسوء أو يَسُرّ، فيكون بحيث يفيد المعنيين، إنما الذي يظهره ما يتبعه من وصف له، كأن تقول فأل حسن، وفأل شر. والغالب في الفأل السرور، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا طيرة، وخيرها الفأل». قالوا: وما الفأل؟ قال: «الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم». [البخاري: ٥٥٤٣].

قال ابن القيم رحمه الله: أخبر صلى الله عليه وسلم أن الفأل من الطيَرة، وهو خيرها، فأبطل الطيرة، وأخبر أن

الفأل منها، ولكنه خيرٌ منها، ففصل بين الفأل والطيرة لما بينهما من الامتياز والتضاد ونفع أحدهما ومضرة الآخر، ونظير هذا منعه الرقى بالشرك وإذنه بالرقية إذا لم يكن فيها شرك، لما فيها من المنفعة الخالية من المفسدة. [مفتاح دار السعادة ص٥٩٩].

ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم يوم صلح الحديبية حين جاء سهيل بن عمرو قال: «سهُل الله أمركم». [البخاري: ٢٧٣١].

شرط الفأل:

ومن شرط الفأل ألا يعتمد عليه وألا يكون مقصودًا، بل أن يتفق للإنسان ذلك من غير أن يكون له على بال.

ومن البدع الذميمة والمحدثات الوخيمة أخذ الفأل من المصحف، فإنه من اتخاذ آيات الله هزوًا ولعبًا ولهوًا، « سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ » [المائدة: ٦٦].

وما أدري كيف حال من فتح المصحف على قوله تعالى: « لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ » [المائدة: ٧٨]. وقوله: « وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا » [النساء: ٩٣]. وأمثال هذه الآيات.

ويروى أن أول من أحدث هذه البدعة بعض المروانية، وأنه تفاءل يومًا ففتح المصحف فاتفق لاستفتاحه قول الله عز وجل: « وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ » [إبراهيم: ١٥]، فيُقال: إنه أحرق المصحف غضبًا من ذلك وأنشد أبياتًا سيئة.

والمقصود أن هذه بدعة قبيحة.

والفأل إذا قصده المتفائل، فهو طيرة كالاستقسام بالأزلام، وقد روى الإمام أحمد في تعريف الطيرة حديث الفضل بن العباس رضي الله عنهما قال: «إنما الطيرة ما أمضاك أو ردَّك».

وروي في كفارتها حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك». قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: «أن تقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك». [صححه الألباني في السلسلة ١٠٦٥].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الطيرة شرك» ثلاثًا: «وما منا إلا، ولكن الله يُذْهبه بالتوكل». [صحيح الترغيب والترهيب ٣٠٩٨، معارج القبول: ٨٠٢].

وهذه التتمة من قول ابن مسعود رضي الله عنه كما في سنن الترمذي، والمعنى: وما منا أحد إلا وقد يعتريه التطير، وهذا يدل على أن ما يقع في القلب من التطير من غير قصد من العبد ولم يستقر في القلب فمعفوٌ عنه، لكن إن ترتب عليه إقدام أو إحجام فهو محرم، ويؤيد هذا حديث معاوية بن الحكم عند مسلم قال: قلت: ومنا رجال يتطيرون؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «ذاك شيء يجدونه في صدورهم، فلا يصدنهم». وفي رواية: «فلا يصدنكم». [مسلم: ٥٣٧].

فأوضح صلى الله عليه وسلم لأمته الأمر، وبيَّن لهم فساد الطيرة ليعلموا أن الله سبحانه لم يجعل لهم عليها علامة، ولا فيها دلالة، ولا نصبها سببًا لما يخافونه ويحذرونه، ولتطمئن قلوبهم، وتسكن نفوسهم إلى وحدانيته تعالى التي أرسل بها رسله، وأنزل بها كتبه، وخلق لأجلها السماوات والأرض، وعمَّر الدارين الجنة والنار بسبب التوحيد، فقطع صلى الله عليه وسلم علق الشرك من قلوبهم؛ لئلا يبقى فيها علقة منها، ولئلا يتلبسوا بعمل من أعمال أهل النار ألبتة.. فمن استمسك بعروة التوحيد الوثقى، واعتصم بحبله المتين، وتوكل على الله، قطع هاجس الطيرة من قبل استقرارها، وبادر خواطرها من قبل استمكانها.

قال عكرمة: كنا جلوسًا عند ابن عباس، فمر طائر يصيح، فقال رجل من القوم: خير خير. فقال له ابن عباس: ما عند هذا لا خير ولا شر، فبادره بالإنكار عليه؛ لئلا يعتقد له تأثيرًا في الخير أو الشر.

وخرج طاوس مع صاحب له في سفر، فصاح غراب، فقال الرجل: خير، فقال طاوس: وأي خير عند هذا، لا تصحبني. [مفتاح دار السعادة ٢/٢٣٤، ٢٣٥].

لا شؤم إلا المعاصي:

بعد أن قرر أن التشاؤم باطل شرعًا وعقلاً، قال الحافظ ابن رجب في لطائف المعارف (ص٧٧): «وفي الجملة فلا شؤم إلا المعاصي والذنوب؛ فإنها تُسخط الله عز وجل، فإذا سخط على عبده شقي في الدنيا والآخرة، كما أنه إذا رضي عن عبده سعد في الدنيا والآخرة، فالشؤم في الحقيقة هو معصية الله، واليُمْن هو طاعة الله وتقواه.

والعدوى التي تهلك من قاربها هي المعاصي، فمن قاربها وخالطها وأصر عليها هلك، وكذلك مخالطة أهل المعاصي ومن يحسِّن المعصية ويزيِّنها ويدعو إليها من شياطين الإنس، وهم أضر من شياطين الجن، قال بعض السلف: شيطان الإنس لا يبرح حتى يوقعك في المعصية.

ولهذا حذَّر النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «لا تصحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقي». [رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٧٣٤١].

فالعاصي وهو شؤم على نفسه وعلى غيره؛ فإنه لا يُؤْمَن أن ينزل عليه عذاب، فيعم الناس خصوصًا من لم ينكر عليه عمله، فالبعد عنه متعين، فإذا كثر الخبث هلك الناس عمومًا.

عافانا الله وإياكم من كل الذنوب والآثام وسائر الآفات، والحمد لله رب العالمين.

وصيته صلى الله عليه وسلم بأهل مصر

إعداد/ جمال عبد الرحمن

الحمد لله الذي فاوت بين العباد، وفضل بعض خلقه على بعض حتى في الأمكنة والبلاد، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفصح من نطق بالضاد، وعلى آله وصحبه السادة الأمجاد.وبعد...

فإن نبينا محمدًا صلي الله عليه وسلم لم يرحل عن هذه الدنيا حتى استودع الناس وصية من أعظم الوصايا ، وبشرهم ببُشرى تسعد لها القلوب وتبرق الثنايا؛ فقال لهم : «إنكم ستفتحون مصر ، وهي أرض يذكر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيرًا، فإن لهم ذمة ورحمًا؛ فإذا رأيت رجلين يقتتلان على موضع لبنة، فاخرج منها». فمر أبو ذر بربيعة وعبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة وهما يتنازعان في موضع لبنة، فخرج منها. [رواه مسلم] . وحقًا تحققت بشراه، وصدقت نبوءته ، وفُتحت مصر المحروسة .

مصر في اللغة وأصل تسميتها بذلك

أصل كلمة مصر من الفعل مَصَرَ الشاةَ والناقَةَ يَمْصُرُها مَصْراً وتَمَصَّرها: حَلَبها بأَطراف الأَصابع الثَّلاث، وَقِيلَ: هُوَ أَن تأْخذ الضَّرْعَ بِكَفِّكَ وتُصَيِّرَ إِبهامَك فَوْقَ أَصابعك، وَقِيلَ: هُوَ الحَلْبُ بالإِبهام وَالسَّبابة فَقَطْ . [لسان العرب ٥/ ١٧٥].

قال الزبيدي: قَالَ الحَافظ أَبو الخَطَّاب بن دحية: مصرُ أَخْصَب بِلاد الله، وسَمَاها الله تَعَالَى بمصْرَ وَهِي هَذه دونَ غيرهَا، وَمن أَسمائِها أُمّ البِلاد، والأَرض المُباركة، وغَوْثُ العباد، وأُمّ خَنُور، وَتَفْسِيره: النِّعمة الكَثيرَة، وَذَلكَ لما فِيهَا من الخيرَات الَّتِي لَا تُوجد فِي غَيرهَا، وساكنُها لَا يَخْلُو من خير يَدِرُّ عَلَيْه فِيهَا، فكأَنّها البَقَرَة الحَلوبُ النافعة.

وقال : سُمِّيَتْ بذلك لتَمَصُّرها أَي تَمَدُّنها، أَو لأَنّه بناها المصرُ بنُ نوح عَلَيْه السَّلَام فسُمِّيت بِه، ... وَقَالَ الحَافظ أَبو الخَطَّاب بن دحية.

وَهِي تُصرَف وَقد لَا تُصرَف، وتؤنَّث. وَقد تُذَكَّر، عَن ابْن السَّرّاج. قَالَ سِيبَوَيْه: فِي قَوْله تَعَالَى: «اهْبِطُوا مِصْرًا» قَالَ أَبُو إِسْحَاق: الأَكثر فِي القِرَاءَة إِثْبَات الأَلف، قَالَ: وَفِيه وَجْهَان جائزان، يُرادُ بهَا مصرٌ من الأَمصار، لأَنَّهم كَانُوا فِي تيه، قَالَ وجائزٌ أَنْ يكونَ أَرادَ مِصْرَ بعينِها، فجعل مصراً اسْما للبلد، فصَرَفَ لأَنه مذَكَّر، ومَنْ قرأَ مِصْرَ بغَيْر أَلف أَرادَ مِصْرَ بعينِها، كَمَا قَالَ: «ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ » وَلم يُصرَف لأَنّه اسمُ المَدِينَة فَهُوَ مُذَكّر سُمِّيَ بِه مؤنث.[تاج العروس للزبيدي المتوفى سنة ١٢٠٥هـ ١٤/ ١٢٦].

أصل كلمة الأقباط وماذا تعني

فِي الصِّحاح: القِبْطُ: أَهْلُ مِصْرَ، واخْتلفَ فِي نَسَب القِبْط، فقيلَ: هُوَ القِبْطُ بنُ حَام بن نُوحٍ، عَلَيْه السَّلَامُ، وَفِي المُقَدمَة الفاضِليَّة لِابْنِ الجَوّانيّ النَّسّابة، عِنْد ذكر نسب القبط مَا نَصُّه: وذَكَرَ أَبو هاشِم أَحمدُ بن جَعْفَر العبَّاسيُّ الصّالحيُّ النَّسّابةُ قِبْطَ مِصْرَ فِي كتابه فَقَالَ: هم ولدُ قِبْطَ بن مِصرَ بن قُوط بن حام بن نوح ، وأَنَّ مِصرَ هَذَا هُوَ الَّذي سُمِّيَتْ مِصرُ باسمه. وذكرَ شيوخُ التَّواريخ وغيرُهم أَنَّ الَّذِي سُمِّيَت مِصْرُ به هُوَ مصرُ بن بَيْصَر بن حام بن نوح، وَهُوَ أَبُو قِبْطِيم بن مصر ، وَإِلَيْه يُنْسَب القبط. وإليهم تُنْسَبُ الثِّيَابُ القُبْطيَّة. [تاج العروس ٢٠/ ٥].

قال ابن خلدون: ثم غلب الروم على مصر والشام وأبقوا القبط في ملكها وصرفوهم في الولاية بمصر إلى أن جاء الله بالإسلام، وصاحب القبط بمصر والإسكندرية المقوقس، واسمه جريج بن مينا فيما نقله السهيليّ. فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطب بن أبي بلتعة، وجبرا مولى أبي رهم الغفاريّ، فقارب الإسلام وأهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هديته المعروفة ذكرها ، فيها البغلة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركبها وتسمى دُلْدُل، والحمار الّذي يسمّى يعفور، ومارية القبطيّة أم ولده إبراهيم وأمّها وأختها سيرين وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسّان بن ثابت، فولدت له عبد الرحمن، وقدح من قوارير كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب فيه، وعسل استظرفه له من بنها إحدى قرى مصر معروفة بالعسل الطيب. ويقال إنّ هرقل لما بلغه شأن هذه الهدية اتهمه بالميل إلى الإسلام فعزله عن رياسة القبط . [تاريخ ابن خلدون ٢/ ٨٨].

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى في هَلَاك فِرْعَوْن وَجُنُودِهِ : لَمَّا تَمَادَى قِبْطُ مِصْرَ عَلَى كُفْرِهِمْ وَعُتُوِّهِمْ

وَعِنَادِهِمْ، مُتَابَعَةً لِمَلِكِهِمْ فِرْعَوْنَ، وَمُخَالَفَةً لِنَبِيِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَكَلِيمِهِ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَقَامَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ مِصْرَ الْحُجَجَ الْعَظِيمَةَ الْقَاهِرَةَ، وَأَرَاهُمْ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ مَا بَهَرَ الْأَبْصَارَ وَحَيَّرَ الْعُقُولَ..... حتى آمنَ منهم ؛ قِيلَ ثَلَاثَةٌ وَهُمُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، ومؤمن آل فرعون، وَالرَّجُلُ النَّاصِحُ، الَّذِي جَاءَ يَسْعَى مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ فَقَالَ: «يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ» [القصص:٢٠] قَالَهُ ابْنُ عبَّاس فِيمَا رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْهُ وَمُرَادُهُ غَيْرُ السَّحَرَةِ فَإِنَّهُمْ كَانُوا من القبط ، وَقِيلَ بَلْ آمَنَ طَائِفَةٌ مِنَ الْقِبْطِ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ وَالسَّحَرَةُ كُلُّهُمْ وَجَمِيعُ شَعْبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: «فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ» [يونس: ٨٣] فالضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ «إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ» عَائِدٌ عَلَى فِرْعَوْنَ لِأَنَّ السِّيَاقَ يَدُلُّ عَلَيْهِ. [البداية والنهاية ط إحياء التراث ١/ ٣١١] .

مما سبق يتبين أن الأقباط هم أهل مصر أجمعين أيًا كانت توجهاتهم، وقبل دخول الإسلام إلى مصر كانت كلمة «قبط» تدل على أهل مصر دون أن يكون للمعتقد الديني أثر على ذلك ، إلا أنه بسبب كون المسيحية كانت الديانة السائدة بين المصريين وقت دخول العرب المسلمين مصر ، وتميُّز الفاتحين ومن أسلم من الأقباط باسم المسلمين، فانحصرت كلمة قبطي منذ ذلك الحين لتشير للمسيحيين في مصر .

ويعتبر دخول العرب مصر سنة ٢٠ من الهجرة على يد الصحابي الجليل عمرو بن العاص مولد تاريخ جديد لهذه البلاد، ذات الماضي البعيد، فلم يكد يتم الفتح، وتستقر الأحوال بها بعد الوقائع الحربية المعروفة، حتى أخذ سكانها يدخلون في دين الله أفواجًا، وتنشرح صدورهم للقرآن الكريم، وتصطنع ألسنتهم اللسان العربي المبين؛ وتصبح العربية لغة الدواوين. ثم يرحل إليها أعيان الصحابة وجل التابعين، ويهوي نحوها الفقهاء والقراء وحفاظ الحديث ورواة اللغة والأدب والشعر، وتبنى فيها المساجد؛ لإقامة شعائر العبادات. ومدارسة علوم الدين، وللفصل في ساحتها بين الناس، كما أُنشئت فيها المدارس لتلقي العلوم والمعارف، وألحقت به خزائن الكتب؛ لجذب العلماء من شتى الجهات؛ مما ارتفع به شأن العلم، وازدهرت الفنون والآداب.

وتولى مقاليد الحكم فيها على مر العصور من الولاة والخلفاء والملوك والسلاطين؛ من فتحوا أبوابهم للوافدين، واستمعوا إلى الشعراء والمادحين، وأجازوا على التأليف والتصنيف، وقاموا في بناء الحضارة الإسلامية بأوفى نصيب.

بل إن مصر كانت -وما زالت- حامية الملة والدين، وراعية الإسلام والمسلمين، وقاهرة الغزاة والمعتدين؛ مما جعلها أعز مكان في الوطن العربي الكبير.

فكان من حق هذا الإقليم أن يشغل مكانه في التاريخ، وأن يُخَص بعناية العلماء والمؤرخين، وأن تُفرد لوصف ملامحه المؤلفات، وأن يُتدارس تاريخه في كل مكان وزمان.

فضل مصر

قال أبو عمرو الكندي: فضل الله مصر على سائر البلدان، كما فضل بعض الناس على بعض، والأيام والليالي بعضها على بعض، والفضل على ضربين: في دين أو دنيا، أو فيهما جميعا، وقد فضل الله مصر وشهد لها في كتابه بالكرم وعظم المنزلة وذكرها باسمها وخصها دون غيرها، وكرر ذكرها، وأبان فضلها في آيات من القرآن العظيم، تنبئ عن مصر وأحوالها، وأحوال الأنبياء بها، والأمم الخالية والملوك الماضية، والآيات البينات، يشهد لها بذلك القرآن، وكفى به شهيداً، ومع ذلك روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في مصر وفي عجمها خاصة وذكره لقرابته ورحمهم ومباركته عليهم وعلى بلدهم وحثه على برهم ما لم يُرو عنه في قوم من العجم غيرهم. [فضائل مصر المحروسة ص: ١]

ذكر مصر في القرآن الكريم:

ذُكرت مصر في القرآن في أكثر من ثلاثين موضعاً.منها خمسة مواضع باسم مصر تصريحًا :

قال الله تعالى: «ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ» [البقرة:٦١] ، وقرئ: «ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا» بلا تنوين، فعلى هذا هي مصر المعروفة قطعًا، وعلى قراءة التنوين، يحمل ذلك على الصرف اعتبارًا بالمكان؛ كما هو المقرر في العربية في جميع أسماء البلاد، وأنها تذكر وتؤنث، وتصرف وتمنع. وقد أخرج ابن جرير في تفسيره عن أبي العالية في قوله: «ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا» قال: يعني مصر فرعون.

وقال تعالى: « وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا» [يونس:٨٧].

وقال تعالى: « وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ» [يوسف:٢١] .وقال تعالى حكاية عن يوسف عليه الصلاة والسلام: «ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ

ءَامِنِينَ » [يوسف:٩٩] .

وقال تعالى حكاية عن فرعون: «أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ » [الزخرف٥١] .

وأما ذكره سبحانه وتعالى لها كناية وإشارة فكما في قوله تعالى: «إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا »[الأعراف:١٢٣] . فالمدينة هنا هي مصر .

وقال تعالى:«وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا » [يوسف:٣٠] . والمدينة هنا مصر.

وقال تعالى: «وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا » [القصص:١٥] . وهي مصر.

ومثله قوله تعالى: «فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ » [القصص:١٨].

وقال تعالى: «وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ » [القصص:٢٠] ، أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن السدي أن المدينة في هذه الآية منف، وكان فرعون بها.

كما أشير إليها بلفظ الأرض كما قال تعالى حكايةً عن يوسف عليه الصلاة والسلام: «قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ » [يوسف:٥٥] ، أخرج ابن جرير، عن ابن زيد في الآية، قال: كان لفرعون خزائن كثيرة بأرض مصر، فأسلمها سلطانه إليه.

وقال تعالى: «وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ » [يوسف:٥٦]، أخرج ابن جرير، عن السدي في الآية قال: استعمله الملك على مصر، وكان صاحب أمرها.

وقال تعالى في أول السورة: «وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ » [يوسف:٢١].

وقال تعالى: «فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ » [يوسف:٨٠] ، قال ابن جرير: أي لن أفارق الأرض التي أنا بها -وهي مصر- حتى يأذن لي أبي بالخروج منها.

وقال تعالى: «إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ » [القصص:٤] .

وقال تعالى: «وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ »[القصص:٥] .

وقال تعالى: «إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي ٱلْأَرْضِ » [القصص:١٩] .

وقال تعالى: «لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلْأَرْضِ » [غافر:٢٩] .

وقال تعالى: «أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ » [غافر:٢٦]

وقال تعالى: «أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ » [الأعراف:١٢٧] ، إلى قوله:

«إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ » [الأعراف:١٢٨]، إلى قوله: «قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ »[الأعراف:١٢٩] .

المراد بالأرض في هذه الآيات كلها مصر.

وقال تعالى: «وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا » [الأعراف:١٣٧] ؛ قال الليث بن سعد: هي مصر؛ بارك فيها بالنيل. حكاه أبو حيان في تفسيره.

وقال القرطبي في هذه الآية: الظاهر أنهم ورثوا أرض القبط. وقيل: هي أرض الشام ومصر؛ قاله ابن إسحاق وقتادة وغيرهما.

وقال تعالى في سورتي الأعراف والشعراء: «يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ » [الأعراف:١١٠] .

وقال تعالى: « فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ » [الشعراء :٥٧-٥٨] .

وقال تعالى: «كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ »[الدخان :٢٥-٢٦]؛ قال الكندي: لا يعلم بلد في أقطار الأرض أثنى الله عليه في القرآن بمثل هذا الثناء، ولا وصفه بمثل هذا الوصف، ولا شهد له بالكرم غير مصر.

وقال تعالى: «وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ » [يونس:٩٣] ، أورده ابن زولاق. وقال القرطبي في تفسيره: أي منزل صدق محمود مختار -يعني مصر. وقال الضحاك: هي مصر والشام.

وقال تعالى: «كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ » [البقرة:٢٦٥] ، أورده ابن زولاق وقال: الرُّبا لا تكون إلا بمصر.

قال تعالى: « أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ » [السجدة :٢٧]. قال قوم: هي مصر، وقواه ابن كثير في تفسيره.

وقال تعالى: «وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا » [فصلت :١٠] ، قال عكرمة: منها القراطيس التي بمصر.

وقال تعالى: «إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ » [الفجر:٧-٨] . قال محمد بن كعب القرظي: هي الإسكندرية.

[حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ١/ ١٨للسيوطي].

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

القصة في كتاب الله



قصة سبأ

الحلقة الثانية

«سبأ ونعمة الأمن»

إعداد/ عبد الرزاق السيد عيد

الحمد لله حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على رسول الله خاتم النبيين، إمام المرسلين محمد ولد إسماعيل وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

تحدثنا في اللقاء السابق من قصة سبأ عن نعمة الرخاء، ورغد العيش، والمسكن الطيب، والبيئة الصالحة (كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ) [سبأ: ١٥]، هكذا لخص القرآن الكريم مشهد النعمة السابغة التي أسبغها على سبأ؛ فهذه الجنات التي تحيط بمساكنهم عن يمين وشمال، والماء العذب الفرات المحفوظ خلف السدّ يشربون منه ويسقون دوابهم وزرعهم، وهواء طيب، وبيئة نقية.

وإلى جانب هذا المشهد مشهد آخر لا يقل أهمية إن لم يكن هو الأهم، ألا وهو مشهد الأمن، نعم مشهد الأمن في الأنفس والأموال في الحل والترحال، وإليك تصوير هذا المشهد من آيات القرآن الكريم:

قال تبارك وتعالى: (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) [سبأ: ١٨، ١٩].

قال الشيخ العلامة ابن عاشور رحمه الله: «إن تأمين الطريق، وتيسير المواصلات، وتقريب البلدان لتيسير تبادل المنافع واجتلاب الأرزاق، هذا وما وراءه، نعمة إلهية ومقصد شرعي يحبه الله لمن يُحب أن يرحمه من عباده كما قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ) [البقرة: ١٢٦]، وقال: (وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ) [قريش: ٤]، فنعمة الأمن أساس العمران البشري والاقتصادي في ظلها يسعد الناس ويأمنون على أنفسهم وأموالهم، لذلك امتن الله على سبأ بها، فقال سبحانه: (سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ) [سبأ: ١٨]، ولنبدأ المشهد من بدايته:

١- قوله تعالى: (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً) [سبأ: ١٨] أي جعل الله طريق أهل اليمن (سبأ) طريقًا عامرًا بالقرى من اليمن إلى الشام، أينما ساروا وجدوا قرية بعد قرية لا يكادون ينتهون من معالم قرية وجدوها حتى تطالعهم قرية أخرى بمعالمها البارزة الواضحة، فلا يجدوا في طريقهم مفازة ولا مصدر فزع ويبدو أن هذه القرية كانت على مسافات منظمة مقدرة يعرفها المسافرون ويحددون بذلك وقت استراحتهم ووقت ارتحالهم، ولذلك قال الله تعالى: (وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ) [سبأ: ١٨] أي: سيروا في طريقكم من اليمن إلى الشام مراحل مقدرة بالأيام والليالي، وبين كل مرحلة يجدون قرية مهما ساروا بالليل أو النهار، فهم في أمن وأمان، وهذا من تمام نعمة الله عليهم.

انظر أخي -رحمني الله وإياك- كيف تعددت نعم الله على قوم سبأ بين مسكن طيب، وزرع متنوع، وظل ظليل، وماء عذب وفير، وفواكه كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة، وهواء نقي، وطريق آمن فكيف قابلوا هذه النعمة؟! قابلوها بالجحود والنكران حتى وصل بهم الكفر إلى أن قالوا كما حكى القرآن عنهم:

٣- ﴿رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ [سبأ: ١٩]، وإنك لتعجب من أحوال العباد كيف يظلمون أنفسهم وكيف يبدّلون نعمة الله كفرًا؟ وصدق الله حين يقول عن هؤلاء وأمثالهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ [إبراهيم: ٢٨- ٢٩].

وكان الأولى بقوم سبأ أن يشكروا الله على ما أولاهم من نعم، ويطيعوا رسل الله الذين بعثهم إليهم ويسجدوا لله شاكرين، ويطلبوا منه سبحانه أن يديم عليهم نعمة الرخاء والأمن، لكنهم ظلموا أنفسهم وطلبوا الشقاء بعد الرخاء والخوف بعد الأمن، وهذه طبيعة الكفر والجحود والكفران!!

وهذا الذي فعله قوم سبأ من قديم مع رسلهم فعلته قريش مع خاتم النبيين وإمام المرسلين، فقالوا كما حكى عنهم القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]، انظر كيف دفع الكفر والجحود والعناد القوم إلى طلب الهلاك ولم يطلبوا الهداية، إن بطر النعمة قد أوصلهم إلى ما وصلوا إليه.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «وذلك أنهم بطروا النعمة كما قاله ابن عباس ومجاهد والحسن وغير واحد، وأحبوا مفاوز مهامة (أي: أرض لا زرع فيها ولا ماء، وفيها صعوبة) يحتاجون في قطعها إلى الزاد والرواحل والسير في الحرور والمخاوف، كما طلب بنو إسرائيل من موسى أن يُخرج الله لهم مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها مع أنهم كانوا في عيش رغيد في منٍّ وسلوى وما يشتهون من مآكل ومشارب وملابس، ولهذا قال لهم: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١]، وقال الله عز وجل: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ [القصص: ٥٨]، وقال في حق هؤلاء: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ [سبأ: ١٩]. اهـ مختصرًا.

قال الشيخ العلامة ابن عاشور رحمه الله: «وأشارت الآية إلى التفرق الشديد الذي أصيبت به قبيلة سبأ؛ إذ حملهم خراب السدِّ، وقحولة الأرض إلى مفارقة ديارهم مفارقة وتفريقًا ضربت به العرب المثل في قولهم: ذهبوا أو تفرَّقوا أيدي سبأ أو أيادي سبأ، والأيدي والأيادي جمع (يد)، وهي هنا بمعنى الطريق، والمعنى أنهم ذهبوا في طرق شتى فتفرقت الأزد، وكنده ومذحج، والأشعريون، وأنمار، وبجيلة في اليمن ولحقت خزاعة بتهامة بمكة، ولحقت الأوس والخزرج بيثرب، وهم من لخم، وتفرَّقت بقية لخم بالعراق، ولحقت غسان ببصرى». اهـ.

٤- قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ: ١٩]، هذا التعقيب القرآني الأول على قصة سبأ، وفيه إشارة عظيمة إلى أن ما حدث لسبأ فيه آيات لكل صبار شكور، وقال الله عز وجل: «آيات»، ولم يقل آية؛ لأن ما حدث لسبأ من تبديل أحوالهم من الأمن والرخاء والاجتماع إلى الخوف والشدَّة والتفرق فيه آيات كثيرة متعددة، وسنأتي إليها إن شاء الله في مقال لاحق.

لكن الذي نحرص على الإشارة إليه الآن أن هذه الآيات لا يدركها كل أحد، ولا ينتفع بها إلا كل صبار شكور، أي كثير الصبر وكثير الشكر، وهذا فيه تعريض بقوم سبأ فهم لم يصبروا ولم يشكروا، ولكن أصابهم الجزع والهلع وبطر النعمة، وأصابهم الملل من كثرة النعيم وتمنوا زوال نعمتهم، وهذا دليل على ما قد تبلغه العقول من انحطاط وانحراف حين تبتعد عن منهج الله.

ونحن نشاهد أمثال هذا البطر في واقعنا المعاصر في كثير من الأمم التي أصابتها تخمة الرفاهية، ولم يكتفوا بما تقلبوا فيه من نعيم؛ فراحوا يبحثون عن أنواع من الشذوذ والانحراف في علاقاتهم الاجتماعية والجنسية وأنشطتهم الرياضية كما يسمونها، فما أبأس العقل البشري حين يبتعد عن منهج الله! وما أفقره إن لم يعرف ربه وخالقه!!

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله: «والقلب فقير بالذات إلى الله من جهتين: من جهة العبادة وهي العلة الغائية، ومن جهة الاستعانة والتوكل وهي العلة الفاعلة، فالقلب لا يصلح ولا يفلح، ولا ينعم لا يُسَرُّ ولا يطيب ولا يسكن، ولا يطمئن إلا بعبادة ربه وحده لا شريك له وحبه، والإنابة إليه، ولو حصل له كل ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن، ولم يسكن؛ إذ فيه فقر ذاتي إلى ربه بالفطرة من حيث هو معبوده ومحبوبه ومطلوبه، وبذلك يحصل له الفرح والسرور واللذة والنعمة والسكون والطمانينة، وهذا لا يحصل إلا بإعانة الله له؛ فالعبد مفتقر دائمًا إلى حقيقة: «إياك نعبد وإياك نستعين». اهـ من رسالة العبودية.

وهذا الكلام الذي ذكره ابن تيمية يرشدنا إلى الغاية التي خلق الله الخلق من أجلها، وهي العبادة، وأنهم فقراء بالفطرة إلى هذه الغاية، وفقراء في الوصول إليها إلا بمعونة الله، وهذا لا يكون إلا لمن هداه الله إلى اتباع منهج الرسل، وهذا أيضا يفسر لنا شقاء من ابتعد عن منهج الرسل.

والله الموفق. ونسأل الله الهداية والتوفيق.

المؤهلات التي أهلت الصحابة رضي الله عنهم لقيادة البشرية

إعداد/ د. أحمد فريد



الحمد لله الذي له ملك السماوات والأرض، وهو على كل شيء قدير، والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وبعد:

فقد «شهدت كتب التاريخ والسِّيَر أن الصحابة – رضي الله عنهم – عاشوا أعلى مراتب النصر والتأييد ، ومن العجيب أن هذا النصر وذلك التأييد ما كان في ميدان دون ميدان ، وإنما في كل الأوقات، وكل الميادين.

لقد عاشوا هذا النصر وذلك التأييد مع النفس الأمارة بالسوء فألجموها بلجام الاستقامة والتقوى، وحملوها على التوبة والإنابة إلى الله إن هي تمردت على هذا اللجام.

وعاشوا هذا النصر وذلك التأييد مع العدو في أرض المعركة، بحيث تمت لهم الغلبة على هذا العدو في أقصر وقت ، وبأقل التكاليف.

وعاشوا هذا النصر وذلك التأييد مع شيطان الجن القاعد لهم بكل طريق ، والمتربص بهم الدوائر، فلم يسمعوا لوساوسه وإغراءاته، ولم يعبأوا بكيده ، وعاشوا هذا النصر وذلك التأييد مع الدنيا ببريقها وزخارفها وزهرتها، فلم تفتنهم ، ولم تشغلهم لحظة عن ربهم.

وهكذا كان النصر حليفهم ، وكان التأييد حظهم أينما حلوا وكيفما حلوا .

وما من شك من أن الناصر والمؤيد لهؤلاء الأصحاب في كل وقت وفى كل ميدان إنما هو الله الذي بيده مقاليد السموات والأرض، والذي إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون.

بيد أن هذا النصر وذلك التأييد من الله لهم لم يكن عن محاباة أو مجاملة ، فإنه سبحانه لا يحابي ولا يجامل ، وإنما كان بسبب من هؤلاء فقد تحلى هؤلاء بطائفة من الأخلاق كانت هي السبب في نزول النصر عليهم ، والتأييد لهم من ربهم ، وتبقى هذه الطائفة من الأخلاق إلى قيام الساعة سبباً في حصول النصر والتأييد من الله شريطة الالتزام والتحلي بها» [من أخلاق النصر في جيل الصحابة « (ص ٩- ١٠)].

وهذه جملة من هذه المؤهلات التي أهلت الصحابة رضي الله عنهم لقيادة البشرية على سبيل الاختصار لا الحصر.

١- تعظيمهم لأمر الله عز وجل وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم:

كان الصحابة رضي الله عنهم يسارعون إلى تنفيذ أوامر الله عز وجل وأوامر رسوله صلى الله عليه وسلم عملاً يقول الله عز وجل : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ » [الأنفال ،٢٠] ، وقوله عز وجل : « وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا».

فهذه زينب بنت جحش رضي الله عنها يخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لفتاه زيد بن حارثة وحين يفاتحها في ذلك تأبى ، وتقول : لست بناكحته ، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بل فانكحيه» قالت : يا رسول الله ، أشاور نفسي؟ فبينما هما يتحدثان، إذا بالقرآن ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم: « وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا » ، فتقول: قد رضيته لي يا رسول الله منكحاً؟ فيقول : « نعم» فتقول إذن : لا أعصي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد أنكحته نفسي» [«تفسير الطبري» (٩/٢ - ١٠)].

ومن ذلك موقف الصحابة الكرام رضي الله عنهم واستجابتهم لأمر الله عز وجل وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم وخروجهم إلى حمراء الأسد الغد من يوم أحد ، وقد دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم للخروج فخرجوا على ما بهم من جراح وآلام؛ تعظيمًا لأمر الله عز وجل ، وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم ، وسجل الله عز وجل لهم هذا الموقف في كتابه الخالد وأنزل فيهم قوله: « الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ » [آل عمران :١٧٢ - ١٧٤].

٢- صدقهم رضي الله عنهم في إيمانهم وأقوالهم وأعمالهم:

وقد وصف الله عز وجل المهاجرين الكرام بالصدق، فقال تعالى : « لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ»[الحشر :٨] ، ونزل فيهم رضي الله عنهم قوله تعالى : «مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا» [الأحزاب:٢٣].

عن أنس رضي الله عنه قال : «غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال : يا رسول الله! غبت عن أول قتال قاتلت المشركين ، لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع ، فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون. قال : اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني الصحابة - ، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم ، فاستقبله سعد بن معاذ ، فقال : يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أحد ، قال سعد : فما استطعت يا رسول الله ما صنع ، قال أنس: فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بسيف، أو طعنة برمح ، أو رمية بسهم ، ووجدناه قد قتل وقد مُثل به المشركون ، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه ، قال أنس : كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أمثاله: «مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ» [الأحزاب:٢٣]. [رواه البخاري (٢٨٠٦) ، ومسلم (١٩٠٣)].

وعن شداد بن الهاد رضي الله عنه أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فآمن به واتبعه، ثم قال: أهاجر معك ، فأوصى به النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه ، فلما كانت غزوة غنم النبي صلى الله عليه وسلم سبياً فقسم وقسم له ، فأعطى أصحابه ما قسم له ، وكان يرعى ظهرهم فلما جاء دفعوه إليه فقال: ما هذا ؟ قالوا: قَسْم قسمه لك النبي صلى الله عليه وسلم فأخذه فجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ما هذا؟ قال: « قسمته لك» . قال :» ما على هذا اتبعتك ، ولكن اتبعتك على أن أرمى ها هنا - وأشار إلى حلقه - بسهم فأموت فأدخل الجنة»، فقال:» إن تصدق الله يصدقك». فلبثوا قليلاً ثم نهضوا في قتال العدو فأتي به النبي صلى الله عليه وسلم يُحمل قد أصابه السهم حيث أشار، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «أهو هو؟» قالوا: نعم. قال :»صدق الله فصدقه».

ثم كفنه النبي صلى الله عليه وسلم في جبته ، ثم قدمه فصلى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته : « اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً فقتل شهيداً، أنا شهيد على ذلك». [رواه النسائي (١٩٥٣) ، وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي»(١٨٤٥)].

٣- زهدهم في الدنيا ورغبتهم في الآخرة:

والزهد : هو الرغبة عن الشيء ؛ لاستقلاله واستحقاره والرغبة فيما هو خير منه وإنما ينشأ الزهد لليقين بالتفاوت بين الدنيا والآخرة ، قال

تعالى: « قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا » [النساء: ٧٧]. وإنما سبق الصحابة رضي الله عنهم بقوة يقينهم بالآخرة الباقية وزهدهم في الدنيا الفانية.

قال عبد الله بن مسعود للتابعين : « لأنتم أكثر عملاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنهم كانوا خيراً منكم ، كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة».

فكان في التابعين من هو أكثر قياماً وصياماً وعبادة من الصحابة رضي الله عنهم ، ولكن الصحابة سبقوا بأحوالهم الإيمانية من الزهد واليقين وصدق التوكل على الله عز وجل، ولا شك في أن الصحابة رضي الله عنهم تعلموا الزهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يمر عليه الهلال ثم الهلال ثم الهلال ، ثلاثة أهله في شهرين ولا يوقد في بيت من بيوته نار. [رواه البخاري (٢٥٦٧، ٦٤٥٨)، ومسلم (٢٩٧٢)].

وعن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : «أخرجت لنا عائشة رضي الله عنها كساء ملبداً وإزاراً غليظاً فقالت: قبض رسول الله في هذين»، وقالت عائشة رضي الله عنها: «إنما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه أدماً حشوه ليف» [رواه البخاري (٦٤٥٦)، ومسلم (٢٠٨٢)].

وهذا عمر رضي الله عنه وهو خليفة المسلمين يرقع ثوبه فعن أنس رضي الله عنه قال :» رأيت عمر وهو يومئذ أمير المؤمنين ، وقد رقع بين كتفيه برقاع ثلاث، لبد بعضها على بعض».

وعن عروة قال : « دخل عمر بن الخطاب على أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهما فإذا هو مضجع على طنفسة رحله ، متوسد الحقيبة ، فقال له عمر : ألا اتخذت ما اتخذ أصحابك؟

فقال : يا أمير المؤمنين هذا يبلغني المقيل».

وقال معمر في حديثه « لما قدم عمر الشام تلقاه الناس وعظماء أهل الأرض، فقال عمر : أين أخي ؟ قالوا : من؟ قال : أبو عبيدة . قالوا : الآن يأتيك. فلما أتاه نزل فاعتنقه ثم دخل عليه بيته فلم ير في بيته إلا سيفه وترسه ورحله». [حلية الأولياء (١/ ١٠١)].

٤- شجاعتهم النادرة واستهانتهم بالحياة الدنيا:

قال أبو الحسن الندوي: «ولقد بعث الإيمان في قلوب المسلمين شجاعة خارقة للعادة، وحنينا غريباً إلى الجنة ، واستهانة نادرة بالحياة ، تمثلوا الآخرة وتجلت لهم الجنة بنعمائها كأنهم يرونها رأي العين ، فطاروا إليها طيران حمام الزاجل لا يلوي على شيء».[ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ ص:١٣٥].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر : « قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض». قال عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله ، جنة عرضها السموات والأرض ؟ قال « نعم «. قال : بخ بخ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما يحملك على قولك بخ بخ ؟» قال : لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها. قال : « فإنك من أهلها». فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ، ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، فرمى بما كان معه من التمر . ثم قاتلهم حتى قُتل. [رواه مسلم (١٩٠١)].

وعن أبي بكرة بن أبي موسى الأشعري قال :» سمعت أبي رضي الله عنه وهو بحضرة العدو يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :» إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف». فقام رجل رث الهيئة ، فقال : يا أبا موسى، أأنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا؟ قال: نعم، فرجع إلى أصحابه فقال : أقرأ عليكم السلام ، ثم كسر جفن سيفه فألقاه ، ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب حتى قُتل». [رواه البخاري (٢٨١٩)، ومسلم (١٧٤٢، ١٩٠٢)].

وفي يوم اليمامة أغلقت بنو حنيفة أنصار مسيلمة الكذاب الباب عليهم ، وأحاط بهم الصحابة ، فقال البراء بن مالك : يا معشر المسلمين ، ألقوني عليهم في الحديقة. فاحتملوه فوق الجحف ، ورفعوها بالرماح حتى ألقوه عليهم من فوق سورها. فلم يزل يقاتلهم دون بابها حتى فتحه ، ودخل المسلمون الحديقة من حيطانها يقتلون من فيها من المرتدة ، من أهل اليمامة حتى خلصوا إلى مسيلمة - لعنه الله-.

قال الذهبي:» بلغنا أن البراء يوم حرب مسيلمة الكذاب أمر أصحابه أن يحتملوه على ترس على أسنّة رماحهم ، ويلقوه في الحديقة فاقتحم عليهم، وشد عليهم، وقاتل حتى افتتح باب الحديقة. فجُرح يومئذ بضعة وثمانين جرحاً ، ولذلك قام خالد بن الوليد عليه شهراً يداوي جراحه». [سير أعلام النبلاء(١/١٩٦)].

اللهم ارض عن صحابة نبينا وعنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين، وللحديث بقية والحمد لله رب العالمين.

الخليفة الراشد: عثمان بن عفان رضي الله عنه

إعداد/ صلاح نجيب الدق

الحمد لله الذي له ملك السماوات والأرض، وهو على كل شيء قدير، والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين.

أما بعد، فإن الخليفة الراشد عثمان بن عفان من الشخصيات البارزة في تاريخ الإسلام، وهو أحد العشرة الذين بشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة، وهو من أصحاب نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذين مدحهم الله تعالى في كتابه العزيز قائلاً: (وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ) (الحجرات:٧).

من أجل ذلك أحببت أن أُذكِّرَ نفسي وإخواني الكرام نحذو حذوها بشيء من سيرته العطرة؛ لعلنا نسعد في الدنيا والآخرة. فأقول وبالله التوفيق:

الاسم والنسب:

هو: عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أُمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصي، ويلتقي مع النبي صلى الله عليه وسلم في جده عبد مناف. (الطبقات الكبرى لابن سعد جـ٣ صـ٣٩).

ميلاد عثمان رضي الله عنه:

وُلِدَ عثمان بعد عام الفيل بست سنين. (الإصابة لابن حجر العسقلاني صـ ٢ صـ ٤٥٥).

كنية عثمان رضي الله عنه: أبو عبد الله.

كان عثمان في الجاهلية يُكنى أبا عمرو، فلما أسلم ورزقه الله ولداً من رقية بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سماه عبد الله واكتنى به، فكنَّاه المسلمون أبا عبد الله، فبلغ عبد الله ست سنين، فنقره ديك على عينيه فمرض فمات في جمادى الأولى سنة أربع من الهجرة فصلى عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (الطبقات الكبرى لابن سعد جـ٣ صـ٣٩).

لقبُ عثمان رضي الله عنه:

يُلقب بذي النورين؛ لأنه تزوج بنتي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ رقية ثم أم كلثوم.

زوجات عثمان رضي الله عنه:

تزوج عثمان بن عفان رضي الله عنه ثماني نسوة، منهن:

١) رُقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٢) أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٣) فاضة بنت غزوان.

٤) أم عمرو بنت جندب.

فضائل عثمان رضي الله عنه:

عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ قَالَ: لَمَّا حُصِرَ عُثْمَانُ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ فَوْقَ دَارِه، ثُمَّ قَالَ: أُذَكِّرُكُمْ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ حِرَاءَ حِينَ انْتَفَضَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اثْبُتْ حِرَاءُ، فَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ؟ قَالُوا نَعَمْ. قَالَ: أُذَكِّرُكُمْ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي جَيْشِ الْعُسْرَةِ: مَنْ يُنْفِقُ نَفَقَةً مُتَقَبَّلَةً وَالنَّاسُ مُجْهَدُونَ مُعْسِرُونَ فَجَهَّزْتُ ذَلِكَ الْجَيْشَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، ثُمَّ قَالَ: أُذَكِّرُكُمْ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ بِئْرَ رُومَةَ لَمْ يَكُنْ يَشْرَبُ مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا بِثَمَنٍ فَابْتَعْتُهَا فَجَعَلْتُهَا لِلْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ وَابْنِ السَّبِيلِ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ وَأَشْيَاءَ عَدَّدَهَا. (صحيح الترمذي للألباني حديث ٢٩١٩).



وعن عبد الرحمن بن سَمُرة قال: جَاءَ عُثْمَانُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَلْفِ دِينَارٍ (أربع كيلو وربع ذهب) حِينَ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَنَثَرَهَا فِي حِجْرِه، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَلِّبُهَا فِي حِجْرِهِ

وَيَقُولُ: مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ مَرَّتَيْنِ. (صحيح الترمذي للألباني حديث ٢٩٢٠).

وعن أنس بن مالك قال: صَعِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُحُدًا وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ فَرَجَفَ، وَقَالَ: اسْكُنْ أُحُدُ أَظُنُّهُ ضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ فَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ. (البخاري حديث ٢٦٩٧).

وعن عبد الله بن عمر قال: كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا ثُمَّ عُمَرَ ثُمَّ عُثْمَانَ ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ. (البخاري حديث ٣٦٩٨).

قال ابن كثير: إنما قال ابنُ عمر ذلك لكثرة صلاة أمير المؤمنين وعثمان بالليل وقراءته، حتى أنه ربما قرأ القرآن كله في ركعة. (تفسير ابن كثير جـ١٢ صـ ١١٦).

استخلاف عثمان بن عفان رضي الله عنه:

عن عمرو بن ميمون (وذلك بعد دفن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب) قال: فَلَمَّا فُرِغَ مِنْ دَفْنِهِ اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ الرَّهْطُ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ اجْعَلُوا أَمْرَكُمْ إِلَى ثَلَاثَةٍ مِنْكُمْ. فَقَالَ الزُّبَيْرُ: قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عَلِيٍّ، فَقَالَ طَلْحَةُ قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عُثْمَانَ، وَقَالَ سَعْدٌ قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَيُّكُمَا تَبَرَّأَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ فَنَجْعَلُهُ إِلَيْهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ وَالْإِسْلَامُ لَيَنْظُرَنَّ أَفْضَلَهُمْ فِي نَفْسِهِ فَأُسْكِتَ الشَّيْخَانِ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَفَتَجْعَلُونَهُ إِلَيَّ وَاللَّهُ عَلَيَّ أَنْ لَا آلُ عَنْ أَفْضَلِكُمْ؟ قَالَا: نَعَمْ فَأَخَذَ بِيَدِ أَحَدِهِمَا فَقَالَ: لَكَ قَرَابَةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْقَدَمُ فِي الْإِسْلَامِ مَا قَدْ عَلِمْتَ، فَاللَّهُ عَلَيْكَ لَئِنْ أَمَّرْتُكَ لَتَعْدِلَنَّ وَلَئِنْ أَمَّرْتُ عُثْمَانَ لَتَسْمَعَنَّ وَلَتُطِيعَنَّ، ثُمَّ خَلَا بِالْآخَرِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ فَلَمَّا أَخَذَ الْمِيثَاقَ قَالَ ارْفَعْ يَدَكَ يَا عُثْمَانُ فَبَايَعَهُ فَبَايَعَ لَهُ عَلِيٌّ وَوَلَجَ أَهْلُ الدَّارِ فَبَايَعُوهُ. (البخاري حديث ٣٧٠٠).

الدولة الإسلامية في خلافة عثمان رضي الله عنه:

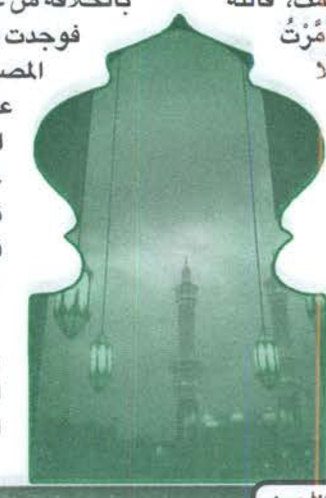
إن مساحة الدولة الإسلامية قد اتسعت اتساعاً عظيماً في عهد عثمان بن عفان، فقد فتح المسلمون الري وأذربيجان وخُراسان ومَرو والطالقان، القارياب والجوزاجان وتركستان وبلخ وليبيا وبلاد النوبة وغيرها. (تاريخ الطبري ج٢ صـ٥٩١:٦٤٠)

جَمعُ القرآن في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه:

عن أنس بن مالك أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّأْمِ فِي فَتْحِ إِرْمِينِيَةَ وَأَذْرَبِيجَانَ مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلَافُهُمْ فِي الْقِرَاءَةِ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَدْرِكْ هَذِهِ الْأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْكِتَابِ اخْتِلَافَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ، ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ وَسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا فِي الْمَصَاحِفِ، وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلَاثَةِ: إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنْ الْقُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي الْمَصَاحِفِ رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنْ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ. (البخاري حديث ٤٩٨٧).

أسباب الفتنة في عهد عثمان رضي الله عنه والرد على المتمردين:

كان عبد الله بن سبأ يهودياً فأظهر الإسلام وسار إلى مصر وقال: إن عليّ بن أبي طالب أحق بالخلافة من عثمان وأن عثمان مُعتدٍ في ولايته، فوجدت هذه المقولة صدى في قلوب بعض المصريين الذين كانوا ينقمون على عثمان بعض تصرفاته، ولما جاء الخوارج إلى المدينة خرج إليهم علي بن أبى طالب فقال لهم: ماذا تنقمون على أمير المؤمنين عثمان؟ فذكروا أشياء منها أنه حمى الحمى (المكان الذي ترعى فيه إبل الصدقة) وأنه حرَّق المصاحف، وأنه أتم الصلاة، وأنه ولى الأحداث الولايات وترك الصحابة الأكابر وأعطى بني أمية أكثر من



الناس، فأجاب عليّ عن ذلك فقال: أما الحمى: فإنما حماه لإبل الصدقة لتسمن ولم يحمه لإبله ولا لغنمه، وقد حماه عمر من قبله. أما المصاحف: فإنما حَرَّقَ ما وقع فيه اختلاف، وأبقى لهم المتفق عليه كما ثبت في العرضة الأخيرة. أما إتمامه الصلاة بمكة فإنه كان قد تزوج بها ونوى الإقامة فأتمها. أما توليته الأحداث: فلم يول إلا رجلاً مسوياً عدلاً وقد ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عتَّاب بن أسيد على مكة وهو ابن عشرين وولى أسامة بن زيد وكان الناس قد طعنوا في إمارته، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنه لخليق بالإمارة. وأما إيثاره قومه بني أمية فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤثر قريشاً على الناس، والله لو أن مفتاح الجنة بيدي لأدخلت بني أمية إليها. وقد خطب عثمان في الناس واعتذر لهم مما كان وقع فيه من الأثرة لبعض أقاربه وأشهدهم أنه قد تاب من ذلك فبكى وأبكى المسلمين من حوله. (البداية والنهاية لابن كثير جـ١٧٤: صـ ١٧٩).

النبي صلى الله عليه وسلم يُخبر باستشهاد عثمان بن عفان رضي الله عنه :

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ حَائِطًا وَأَمَرَنِي بِحِفْظِ بَابِ الْحَائِطِ، فَجَاءَ رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُ فَقَالَ: ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ، فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ يَسْتَأْذِنُ فَقَالَ: ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ، فَإِذَا عُمَرُ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ يَسْتَأْذِنُ فَسَكَتَ هُنَيْهَةً، ثُمَّ قَالَ: ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى سَتُصِيبُهُ، فَإِذَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ. (البخاري حديث ٢٦٩٥ / مسلم حديث ٢٤٠٣).

وعن عبد الله بن عمر قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِتْنَةً فَقَالَ: يُقْتَلُ فِيهَا هَذَا مَظْلُومًا، لِعُثْمَانَ بن عفان، رضي الله عنه. (صحيح الترمذي للألباني حديث ٢٩٢٥).

وصية الرسول صلى الله عليه وسلم لعثمان رضي الله عنه بالصبر في الفتنة:

عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يَا عُثْمَانُ إِنَّهُ لَعَلَّ اللَّهَ يُقَمِّصُكَ قَمِيصًا فَإِنْ أَرَادُوكَ عَلَى خَلْعِهِ فَلَا تَخْلَعْهُ لَهُمْ. (صحيح الترمذي للألباني حديث ٢٩٢٣).

وعن أبي سَهْلَةَ قَالَ: قَالَ عُثْمَانُ يَوْمَ الدَّارِ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ عَهِدَ إِلَيَّ عَهْدًا فَأَنَا صَابِرٌ عَلَيْهِ. (صحيح الترمذي للألباني حديث ٢٩٢٨).

عثمان رضي الله عنه يمنع أنصاره عن قتال المتمردين:

عن محمد بن سيرين قال: جاء زيدُ بن ثابت إلى عثمان فقال: هذه الأنصار بالباب يقولون: إن شئت كنا أنصاراً لله مرتين، قال: فقال عثمان: أما القتال فلا. (الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٣ صـ ٥١).

وعن عبد الله بن عامر قال: قال عثمان يوم الدار: إن أعظمكُمْ عنى غناءً رجلٌ كَفَّ يَدَه وسلاحه. (الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٣ صـ ٥١).

وعن عبد الله بن الزبير قال: قلت لعثمان: يا أمير المؤمنين: إن معك في الدار عصابة (جماعة) مستنصرة بنصر الله فأذن لي فلأقاتل، فقال: أنشد بالله رَجُلاً أو قال: أذكرُ بالله رجلاً أهراق في دمه. (الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٣ صـ٥٢).

وعن محمد بن سيرين قال: كان مع عثمان يومئذ في الدار سبعُمائة، لو يَدَعُهُم لضربوهم إن شاء الله حتى يخرجوهم من أقطارنا: منهم ابن عمر والحسن بن على وعبد الله بن الزبير. (الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٣ صـ٥٢).

قال ابن كثير: قال عثمان للذين عنده في الدار من المهاجرين والأنصار وكانوا قريباً من سبعمائة، فيهم عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير والحسن والحسين ومروان وأبو هريرة وخلق من موالي عثمان، ولو تركهم لمنعوه، فقال لهم: أقسم على من لي عليه حق أن يكف يده وينطلق إلى منزله، وقال لرقيقه من أغمد سيفه فهو حُرٌّ. (البداية والنهاية لابن كثير جـ٧ صـ١٨٩ - ١٩٠).

وكان مدة حصار عثمان أربعين يوماً. (تاريخ الطبري جـ٢ صـ٦٥٥).

عثمان رضي الله عنه يفتدي دماء المسلمين بدمه:

اختار عثمان رضي الله عنه أهون الشرين، فآثر التضحية بنفسه على توسيع دائرة الفتنة وسفك دماء المسلمين، فافتدى دماء أمته بدمه مختاراً ذلك على غيره.

كيفية استشهاد عثمان رضي الله عنه :

عن نائلة بنت الفرافصة زوجة



عثمان قالت: أغْفى عثمان فلما استيقظ قال: إن القوم يقتلونني، فقلت: كلا يا أمير المؤمنين، قال إني رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر فقالوا: إنك تفطر عندنا الليلة. (الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٣ صـ٥٥).

فقُتل عثمان عند صلاة العصر، وهو يقرأ القرآن من المصحف الشريف، حيث سال الدم على لحيته ثم على المصحف ثم دخلت الغوغاء دار عثمان فصاح رجلٌ منهم، أيحل دم عثمان ولا يحل ماله؟ فانتهبوا متاعه، فقالت نائلة زوجة عثمان: لصوص ورب الكعبة، أيا أعداء الله ما ركبتم من دم عثمان أعظم، أما والله لقد قتلتموه صَوَّاماً قوَّاماً، يقرأ القرآن في ركعة ثم خرجوا من دار عثمان. (الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٣ صـ٥٥).

كيف قتل المتمردون عثمان رضي الله عنه بالمدينة، وفيها جماعة من كبار أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؟

الإجابة على هذا السؤال من عدة وجوه:

الأول: الكثير من الصحابة أو كلهم لم يكن يظن أن أمر الخوارج يبلغ إلى قتل عثمان؛ لأنهم طلبوا من عثمان أحد أمور ثلاثة: إما أن يعزل نفسه، أو يسلم إليهم مروان بن الحكم أو يقتلوه، فكان الخوارج يرجون أن يسلم لهم مروان، أو أن يعزل نفسه، ويستريح من هذه الضائقة الشديدة، وأما القتل فما كان يَظنُّ أحدٌ أن هؤلاء الخوارج يجترئون عليه.

الثاني: الصحابة مانعوا دون عثمان أشد ممانعة، ولكن لما وقع التضييق الشديد، عزم عثمان على الناس أن يكفوا أيديهم، ويغمدوا أسلحتهم ففعلوا، فتمكن أولئك الخوارج مما أرادوا، ومع ذلك ما ظن أحد من الناس أن يُقتلَ عثمان.

الثالث: هؤلاء الخوارج اغتنموا غيبة كثير من أهل المدينة في أيام الحج وعدم مجيء الجيوش من الآفاق لنصرة عثمان، فصنعوا ما صنعوا من قتل عثمان رضي الله عنه.

الرابع: هؤلاء الخوارج كانوا قريباً من ألفي مقاتل، وربما لم يكن في أهل المدينة هذا العَدد من المقاتلين، لأن الناس كانوا في الثغور، وفي الأقاليم في كل جهة، ومع هذا كان كثير من الصحابة قد اعتزل هذه الفتنة ولزموا بيوتهم، وكان من يحضر منهم المسجد لا يجيء إلا ومعه السيف، والخوارج محدقون بدار عثمان، وربما أرادوا صرفهم عن عثمان حتى تصل الجيوش من الأمصار، ولكن الخوارج قد تسوروا دار عثمان وقتلوه قبل وصول هذه الجيوش. (البداية والنهاية لابن كثير جـ ٧ صـ ٢٠٦- ٢٠٧).

دفن عثمان رضي الله عنه بالبقيع:

قُتلَ عثمان يوم الجمعة الثامن عشر من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين بعد العصر وكان يومئذ صائماً، ودُفنَ ليلة السبت بين المغرب والعشاء بالبقيع، وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً، وقُتلَ وهو ابنُ اثنتين وثمانين سنة. (تاريخ الطبري جـ٢ صـ٦٨٩).

خصائص عثمان رضي الله عنه :

عن عبد الرحمن بن مهدي قال: خصلتان لعثمان ليستا لأبي بكر ولا لعمر رضي الله عنهما: صبره على نفسه حتى قتل، وجمعه الناس على المصحف. (تاريخ الخلفاء للسيوطي صـ١٣٥).

(١) عثمان أول من فوض إلى الناس إخراج زكاتهم.

(٢) عثمان أول من ولي الخلافة في حياة أمه.

(٣) عثمان أول من اتخذ صاحب شرطة.

(٤) عثمان أول من اتخذ المقصورة في المسجد؛ خوفاً أن يصيبه ما أصاب عمر بن الخطاب.

(٥) عثمان أول من هاجر إلى الله تعالى بأهله من هذه الأمة.



(٦) عثمان أول مَن جعل للمؤذنين رواتب.

(٧) عثمان أول مَن جمع المسلمين على قراءة واحدة للقرآن الكريم. (تاريخ الخلفاء للسيوطي صـ١٥٤).

رضي الله تعالى عن عثمان بن عفان، وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً.

نسأل الله تعالى أن يجمعنا بعثمان بن عفان في الفردوس الأعلى من الجنة. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

دراسات قرآنية

الأمثال في القرآن

إعداد / مصطفى البصراتي

الحمد لله الذي أنزل القرآن الكريم لينتظم به صلاح المعاش والمعاد، وجعله منزهًا عن العوج، وضرب الله فيه للناس من كل مثل ، لتتحقق لهم الموعظة، وليتجنبوا المضار، ويأخذوا المنافع كما قال تعالى: «وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧) قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ» [الزمر: ٢٧، ٢٨].

والصلاة والسلام على من تلقاه من ربه، وبلّغه وبيّنه، حتى تركنا على المحجة البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك، المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعدُ:

فهذه سلسلة جديدة نتكلم فيها عن «الأمثال في القرآن»، ولقد ضرب الله عز وجل في كتابه العزيز أمثالاً للناس لعلهم يتذكرون ويتفكرون ويتقون، فالمثل اذن تقريب لمفهوم أعمق من المثل ، لصورة أوسع منه ، وتوضيح وفهْمُ هذه الأمثال على الوجه الذي يريده الله عز وجل نعمة عظيمة من أجل النعم، فذلك يورث تفكرًا وتدبرًا، ويحمل على التقوى بإذن الله.

والذين يعقلون هذه الأمثال وصفهم الله عز وجل بـ «العالمون» إذ قال عز وجل: «وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ» [العنكبوت: ٤٣]، ولا يخفى على ذي لب ما جعل الله في الأمثال من الحكمة وأودع فيها من الفائدة وناط بها من الحاجة، فإن ضرب الأمثال في القرآن يُستفاد منه أمور كثيرة منها:

لفت النظر إلى أمثال القرآن:

لقد لفت الله نظر عباده إلى أمثال القرآن في قوله سبحانه: «وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» [إبراهيم: ٢٥]، وقوله جل وعلا: «وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» [النور: ٣٥]، وقوله سبحانه: «وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ» [إبراهيم: ٤٥]، وقوله تبارك وتعالى: «وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ» [العنكبوت: ٤٣]، ولفت الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم نظرنا كذلك إليها، وأمرنا بالاعتبار بها في الأحاديث الشريفة مثل

حديث البخاري ومسلم عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مثل الذي يذكرُ ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت» [متفق عليه]. وفي لفظ لمسلم: «مثل البيت الذي يُذكرُ الله فيه والبيت الذي لا يُذكر الله فيه مثل الحي والميت».

وقد عدّ الإمام الشافعي -رحمه الله- أمثال القرآن من الأمور التي يجب على المجتهد معرفتها من علوم القرآن، فقال: «ثم ما ضرب فيه من الأمثال الدوال على طاعته؛ المثبتة لاجتناب معصيته، وترك الغفلة عن الحفظ والازدياد من نوافل الفضل». [البرهان للزركشي ٤٨٦/١].

وقال الماوردي: «من أعظم علم القرآن علم أمثاله، والناس في غفلة عنه لانشغالهم عن الامثال، وإغفالهم المثلات». [الإتقان للسيوطي ٣٨/٤].

تعريف المثل:

أصل المثل في اللغة: قال الخليل بن أحمد: «المثل ما يُشَبَّهُ به الشيء ليُفهم». والعرب تقول: مَثَلٌ، ومِثْلٌ ونظيرهما من الكلام الشبه والشِبَه والإِثْر والأَثَر والبدل. [لسان العرب ٢٠٠/٨، والقاموس المحيط ٥٥/٤].

والناس يعلمون ما حلّ بمن خلا قبلهم من الأمم التي عصت ربها، وكذبت رسله من عقوبات، فمن أمة مُسخت قردة وخنازير، إلى أمة أُهلكت بالرجفة، وأخرى بالريح أو الخسف أو الغرق، وذلك هو المثلات، والمثلات: العقوبات واحدها مثلة - بفتح الميم، وضم الثاء - كصدقة وصدقات. وقال مجاهد: المثلات: الأمثال. والتمثيلُ من المُثلة، وهو: جدع الأنف والأذن، وجَبُ المذاكير (أي استئصالها). قال ابن منظور رحمه الله: مثلت بالحيوان: أمثُل به مثلاً، إذا قطعت أطرافه وشوهت به ومثلت بالقتيل: إذا جدعت أنفه وأذنه وشوهت به.

أنواع المثل في القرآن:

يرى بعض الباحثين أن الأمثال القرآنية تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: الأمثال المصرحة أو القياسية. وهي التي صرح فيها بلفظ المثل أو ما يقوم مقامه كقوله تعالى: «مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا» [البقرة: ١٧]. «مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ» [الرعد: ٣٥]، «مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ» [النور: ٣٥]، «وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ» [النور: ٣٩]، «أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ» [النور: ٤٠].

والثاني: ما يُسمى بالأمثال المرسلة، وهي جمل قد أرسلت إرسالاً من غير تصريح بلفظ التشبيه وكثر التمثل بها؛ لما فيها من العظة والعبرة والإقناع، وقد اكتسبت صفة المثلية بعد نزول القرآن الكريم وشيوعها عند المسلمين ولم تكن أمثالاً في وقت نزوله، وهي في جملتها مبادئ خُلقية ودينية مركزة مثل قوله تعالى: «لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ» [آل عمران: ٩٢]، «لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ» [النجم: ٥٨]، «الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ» [يوسف: ٥١]، «وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ» [يس: ٧٨]، «ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ» [الحج: ١٠]، «قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ» [يوسف: ٤١]، «أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ» [هود: ٨١]، «وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ» [سبأ: ٥٤]، «لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ» [الأنعام: ٦٧]، «وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ» [فاطر: ٤٣]، «قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ» [الإسراء: ٨٤]، «وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ» [البقرة: ٢١٦]، «كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ» [المدثر: ٣٨]، «مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ» [المائدة: ٩٩]، «مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ» [سورة التوبة: ٩١]، «هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ» [الرحمن: ٦٠]، «كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً» [البقرة: ٢٤٩]، «آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ» [يونس: ٩١]، «تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ» [الحشر: ١٤]، «وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ» [فاطر: ١٤]، «كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ» [المؤمنون: ٥٣]، «وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ» [الأنفال: ٢٣]، «وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ» [سبأ: ١٣]، «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا» [البقرة: ٢٨٦]، «قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ» [المائدة: ١٠٠]، «ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ» [الروم: ٤١]، «ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ» [الحج: ٧٣]، «لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ» [الصافات: ٦١]، «وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ» [ص: ٢٤]، «فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ» [الحشر: ٢].

الثالث: ما يسمى بالأمثال الكامنة، وهي أمثال لم تُضرب لبيان حال خاصة، ولا لصفة معينة، ولا لتلخيص حادثة ووقعت في زمن من الأزمان لم يصرح فيها بالتمثيل من قريب ولا من بعيد، ولكن يدل مضمونها على معنى يشبه مثلاً من أمثال العرب المعروفة، أي: أنها أمثال بمعانيها لا بألفاظها، فالتمثيل فيها كامن غير ظاهر، لهذا أسموها بالأمثال الكامنة.

قال الماوردي: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن مضارب يقول: سمعت أبي يقول: سألت الحسين بن الفضل فقلت: إنك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن، فهل تجد في كتاب الله: «خير الأمور أوساطها». قال: نعم في أربعة مواضع، قوله تعالى: «لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ» [البقرة: ٦٨]، «وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ

﴿ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، وقولة تعالى: «ولاتجعل يدك مغلولة الي عنقك ولاتبسطها كل البسط» وقولة: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠].

قلت: فهل تجد في كتاب الله: «من جهل شيئًا عاداه»؟ قال: نعم في موضعين قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ [يونس: ٣٩]، وقوله: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف: ١١].

قلت: فهل تجد في كتاب الله: «احذر شر من أحسنت إليه». قال: نعم. قوله عز وجل: ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [سورة التوبة: ٧٤].

قلت: فهل تجد في كتاب الله «ليس الخبر كالعيان». قال: في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]. قلت: فهل تجد «في الحركات البركات» قال: في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [النساء: ١٠٠]. قلت: فهل تجد (كما تدين تدان)، قال: في قوله تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣]. قلت: فهل تجد فيه قولهم: «حين تقلي تدري»؟ قال: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٢]. قلت فهل تجد فيه: «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين». قال: ﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾ [يوسف: ٦٤].

قلت: فهل تجد فيه: «من أعان ظالمًا سُلِّط عليه»؟. قال: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [الحج: ٤]. قلت فهل تجد فيه قولهم : لاتلد الحية الا حية؟ ، قال في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧]. قلت: فهل تجد فيه «للحيطان آذان» قال: في قوله تعالى: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ [سورة التوبة: ٤٧]. إلى غير ذلك مما نقله السيوطي في الإتقان.

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن النوع الثالث ليس داخلاً في الأمثال على أي صورة من الصور؛ لخلوّه من وجه المشابهة بين الممثل والممثل له، وقالوا: إن ما ذكره السيوطي وغيره عن الحسين بن الفضل، ضرب من تدريب القريحة على استخراج النظائر القرآنية لبعض ما تتمثل به العرب في عصورهم المختلفة من الأقوال الحكيمة التي أوجزت حادثة من الحوادث أو دلت على معنى من المعاني المعقولة.

وأما النوع الثاني: فهو من قبيل التشبيهات الضمنية، التي تؤكد المعاني وتبرزها إبرازًا يجعلها متميزة في النفس أكمل تمييز، أو هو من قبيل الكنايات التي تأتي بالمعنى مصحوبًا بدليله فتجري مجرى الحكم وهو كثير في القرآن.

ومقصودنا في هذا البحث إنما هو النوع الأول؛ إذ هو المراد عند الإطلاق، ويأتي النوع الثاني تبعًا له ويدخل في سياقه ضمنًا، على وجه من وجه التشبيه. [الأمثال القرآنية دراسة تحليلية، د. محمد بكر إسماعيل].

ضرب الأمثال من طبائع الناس

وضرب الأمثال مما فُطر عليه الناس على اختلاف شعوبهم وأزمانهم، بناء على التجارب والوقائع في أحداث الحياة، وفي تشبيه بعضهم ببعض، وكذلك فعل الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكن المحظور على الناس أن يشبّهوا الله بشيء من خلقه، أي أن يجعلوا الله مثلاً يشركون به أو يقيسون عليه، فإن ضرب المثل تشبيه حال بحال، لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] أي: تعلمون ببداهة العقول أن الخالق لا يشبه المخلوق، وتعلمون بوحي الله أن الله ليس كمثله شيء.

ويقول البيضاوي في تفسير تعليله سبحانه نهي عباده أن يضربوا لله مثلاً بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤]، أي: إن الله يعلم فساد ما تعولون عليه من القياس، أو يعلم كنه الأشياء وأنتم لا تعلمون، أو يعلم كيف تضربون الأمثال وأنتم لا تعلمون ذلك حق العلم، وما ضربه صلى الله عليه وسلم من أمثال الله تعالى، كقوله في الحديث الشريف: «لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره، وقد أضله في أرض فلاة» [رواه البخاري ومسلم]؛ فذلك من باب إظهار مدى رحمة الله بعباده.

ضلال الكفار في ضربهم الأمثال:

وكما ضل الكفار في ضربهم الأمثال لله عز وجل، وقد نهاهم الله عن ذلك، ضلوا في ضربهم المثل للرسول صلى الله عليه وسلم حتى قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٨]، فقد عجب الله من صنيعهم كيف قالوا عنه تارة: إنه ساحر، وتارة إنه مجنون، وتارة إنه شاعر، فضلوا؛ لتناقض كلامهم في قولهم: مجنون، ساحر، شاعر. وضلوا عن الحق، فلا يجدون سبيلاً إلى الهدى، ولا يجدون حيلة في صدّ الناس عنك يا أيها النبي.

وللحديث بقية، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الشائعات وأثرها السيئ في الأمة

إعداد/ الشيخ / صالح بن حميد
إمام المسجد الحرام بمكة المكرمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد: فأوصيكم -أيها الناس- ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله -رحمكم الله-؛ فالكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

في مُرور الأعوام تصرُّم الأعمار، فما أسرعَ انقضاء الليالي والأيام، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣]. جعلنا الله وإياكم ممن طال عُمرُه، وحسُنَ عمله، وغُفِر ذنبُه، وثقُل ميزانه.

ضرورة تحري الصدق في نقل الأخبار:

أيها المسلمون: وإن من أعظم ما يستوقفُ الناظر، ويبعثُ على المحاسَبة الجادَّة: قولُ نبيِّنا -صلى الله عليه وسلم- كما في الحديث الصحيح: «كفى بالمرء إثمًا أن يُحدِّثَ بكل ما سمِع». رواه مسلم من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-. إنها المحاسبة الجادَّة، والفحصُ الدقيق.

خطورة استخدام التقنيات الحديثة في نقل الشائعات:

معاشر المسلمين: للكلمة أثرُها، وللصورة مفعولُها في أي وسيلة، في خُطبة أو مقالة، أو مُحاضرة أو تغريدة، من خُطيب أو مُتحدِّث، أو كاتب أو داعية، أو مُعلِّق أو مُتابِع، وفي أي وسيلة من وسائل الإعلام والتواصُل.

وفي هذا الزمن بتقنيَّاته واتصالاته، وتدويناته وتغريداته، ومواقعه وشبكاته، وإعلامه وقنواته، ومواقعه وسيلتها كلها: الكلمة والصورة؛ فويل للمُتهاونين من المغرِّدين والمُتابِعين!

كم هيَ العواقبُ التي تُكلف الكثيرَ والكثيرَ من الأنفس والأموال والجهود؟!

مساوئ انتشار الشائعات:

معاشر الأحبَّة: إن تهاوُن الناس -ولا سيَّما الفتيان والفتيات- مما ينعتُونه بالثرثرة الجماعيَّة من خلال المجاميع التي يُنظِّمُونها أو ينتظمون فيها في هواتفهم وأجهزتهم؛ بل يتسارَعون لإحراز قصَب السَّبَق في نشر المعلومات أو تلقيها، بقطع النظر عن صحَّتها أو دقَّتها أو خطرها، بل الخطرُ فيما تؤول إليها من نتائج خطيرة على الدين والعقيدة، وعلى البلاد وأهلها، وعلى الأمن والاستقرار، ما ينشرُ الإرباك والاضطراب، بل الخوفَ والإرهابَ.

ويزدادُ الخطرُ والخوف وسوءُ العواقب حين لا تُعرف مصادرُ هذه الأخبار والشائعات، ولا أغراض مَنْ نشَرَها وأهدافهم، فلا مصداقيَّة ولا موثوقيَّة، «كفى بالمرء إثمًا أن يُحدِّثَ بكل ما سمِع».

هذه الوسائل والمواقعُ وسطٌ خصبٌ، وبيئةٌ للشائعات والأخبار المُختلفة والمُختلَقة والآراء والرُّؤى غير المسؤولة، ناهيكم بأنَّ كثيرًا ممن يشتغلُ بنقل هذه الكلمات والصُّور والأخبار الخطيرة هم الفارغون البطَّالون الذين ليس لديهم ما يشغلون به أوقاتَهم من الخير والنفع لهم ولدينهم وأمتهم وأوطانهم.

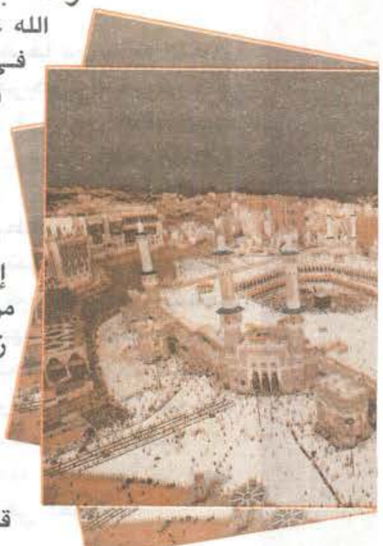
ويعلمُ المتابعُ العاقلُ -فضلاً عن المُتخصِّص- أنهم لا في العير ولا في النَّفير، الواحدُ منهم مُتَّكئٌ على أريكته، ومُلازمٌ للوحته، وعاكفٌ على جهازه، يُلقي الكلامَ على عواهنَه هنا وهناك.



كم كلمة أو تغريدة قالت لصاحبها: دعني! وكم تدوينةً تهوي بقائلها في نار جهنم أبعدَ ما بين المشرق والمغرب!

كلماتٌ تخرجُ كالسِّهام من أفـواه البنادق يقتُـلُ بـهـا نفسَه، ويُهلكُ أهلَه، ويُفسدُ بلدَه، ويُجرِّئُ الأعداءَ، ويُمكِّـنُ للخُصوم، ويبذُرُ بُـذورَ الفُرقة، وينفخُ في أبواق الفتنة.

زاحمَ البَنانُ عنده اللسان ليُوغِلَ في التعقيبِ والتصنيفِ، والهدم والإفساد.
في كلماتٍ وصورٍ ومقاطع تستهزئُ وتسخرُ من مُكوِّنات مُجتمعه، وكأنَّه قد تطوَّعَ ليُسوِّدَ صُورتَه أمام الآخرين، ويُوثِّقها صوتًا وصورةً، وكأنه مأجورٌ ليُدمِّرَ نفسَه، ويهدمَ بيتَه، ويتنكَّرَ لهويَّته.
إذا سمعَ خبرًا طارَ به كلَّ مطار، ينشرُه ويبثُّه يُفاخرُ بأنه حازَ السَّبْقَ في نشرِه، والكلمةُ تبلغُ الآفاقَ مُتخطيةً حواجزَ الزمان والمكان في أجزاء من الثواني بلمسة بَنَان أو غمزة أزرار. بل حقُّه أن يُحاسبَ نفسَه قبل أن يُطلِقَ لسانَه، أو يغمزَ بنانَه، أو يخُطَّ مقالَه، أو يُغرِّدَ تغريدتَه.
أين الحقيقة؟! وأين المصلحة؟! وأين الديانة؟! وأين الأمانة؟!
يا تُرى هل هؤلاء يُوسِّعون الآفاقَ أو يحفُرون الأنفاقَ؟! هل هم يَبنُون أو يهدمون؟! هل هم يجمَعون أو يُفرِّقون؟! هل يزرَعون الأملَ أو يقودون لليأسِ؟! هل يرفعون من مقام أهلهم وأوطانهم أو يُحقِّرون الذوات ويسحَقون النفوسَ؟!
إن ما يُفسدُه هؤلاء المساكينُ الأغرار في لحظات قد لا يُمكنُ علاجُه في سنوات، وقد يُكلفُ أموالاً ونفوسًا، وقد يستعصِي على العلاج. فلا حول ولا قوة إلا بالله!
معاشر المسلمين: «كفَى بالمرء إثمًا أن يُحدِّثَ بكلِّ ما سمع»، «ولا يزالُ الرجلُ يصدُقُ ويتحرَّى الصدقَ حتى يُكتبَ عند الله صدِّيقًا، ولا يزالُ الرجلُ يكذبُ ويتحرَّى الكذبَ حتى يُكتبَ عند الله كذَّابًا».
وقد أخبَرَنا نبيُّنا محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- كما في الحديث الصحيح فيما رآه من أحوال الآخرة أنه: «يرَى الرجلَ يكذبُ الكذبَة فتبلغُ الآفاقَ، فيُنَشرُ شدقُه ومنخَرُه وعينُه إلى قفاه». فما أشدَّه من عذاب، وما أطولَه من زمان!!
معاشرَ الأحبة: هذه قضيةٌ، وثمَّة قضيةٌ أخرى مُرتبطةٌ بها، وهي أكبرُ وأخطرُ؛ بل قد تكونُ أثرًا من آثارها، أو هدفًا من أهدافها، إنها: أمنُ المعلومات؛ بل الأمنُ على الدين وثوابته وأصُوله، والأمنُ على الأوطان ووحدتِها وتماسُكها.



هذه التِّقنيَّاتُ والآلاتُ والوسائطُ والمواقعُ جعلَت المسؤوليَّةَ أعظمَ، وجعلَت مفهومَ الحرية أدقَّ، فالحرُّ هو المسيطرُ على نفسه، الضابطُ لها بضوابط العقل والدين والعلم. الحريةُ هي التخلُّص من قيود الشهوات، وسجون الرَّغبات. الحرُّ هو المسؤولُ الذي يُفكِّرُ بانضباط لا بانفلات.
إن هذه التِّقنيَّات فضَحَت بعضَ الذين يودُّون التفلُّتَ من عيون الرَّقيب، ناهيكم برقيبِ الدين والضمير والأخلاق والمبادئ.
الإيمانُ دينٌ صحيحٌ، والمُواطَنةُ عقلٌ راشِدٌ، والمسؤوليَّةُ أمانةٌ وثباتٌ وسعيٌ في المصالح العُليا والدُّنيا، وسيرٌ في دُروبِ الخير والرشاد، والحثُّ عليها.
أيها العُقلاء: الهدمُ سهلٌ، والانحدارُ إلى الهاوية لا يُكلِّفُ -عياذًا بالله-، تأمَّلوا في بعض جيراننا الذي يُصبحون على العبوَّات الناسفة، ويُمسُون على قذائف مُدمِّرة تستهدفُ المنازلَ والمتاجرَ والمعابدَ والمكاتبَ والطوائف.
إن المُراقبَ لبعضِ القُوى الإقليمية والدولية الذين يُحاولون أن يُذكُوا الصراعات الطائفيَّة القَبَليَّة والمَذهبيَّة والمناطقيَّة في منطقتنا يُحاولون أن يُذكُوا الصراع، ثم يُوظِّفوه ليُقطِّعوا الدول، ويُبعثِروا الشعوبَ، ويُشرِّدوا الناسَ، ليتوزَّعوا الغنائمَ، ولا يُهِمُّهم البَتَّة ولا يكترثون لمصالح شعوبِ المنطقة وأهلها أماتُوا جوعًا، أو تفرَّقوا شيَعًا، أو تناثرُوا طوائفَ، أو تقطَّعُوا أحزابًا!!
والسعيدُ الحكيمُ من وُعِظَ بغيره.

التحذير من خطباء الفتنة والتحريض:

الحَذَرَ ثم الحَذَرَ من خُطباء الفتنة والتحريض، دُعاة تمزيق الأوطان، والعبَث بوحدتها، السُّعاة إلى تأجيج الفتنة وإثارة الفُرقة، في تُهم باطلة، وطعونٍ ظالمة، وناصية كاذبة خاطئة، يَصفون أوطانَهم وأهلِيهم ورجالَهم بأقبَح الأوصاف، في أسلوب فجٍّ، وسوءٍ من القول.
يقومُ قائمٌ مأفونٌ هو الأغشُّ للأمة والأئمة، والأشدُّ على جماعة المسلمين ليهدمَ الشوكة، ويُضعف القوة، ويخدم الأعداء، يزعُمُ أنه يُطالبُ بحقوق، ولن يكونَ نَيلُ الحقوق بفُحش القول، والتحريض، وامتطاء مطيَّة العُنصريَّة والطائفيَّة، والاستقواء بالسمَّاعين والدول

الأجنبيَّة وأعداء الأمة، يُثيرُ الفتن، ويجرُّ الأغراب، ويتقوَّى بالخارج، وهذه خيانة ظاهرة، وتفريط بالبلاد ومؤسساتها وأهلها، ومثل هذا لا بُدَّ من الحزم معه وأطره على الحق وإلزامه جادَّة الصواب، وحفظ أمن البلاد والعباد، ووحدة الصف والكلمة.

مسئولية الدولة عن أمن الناس واستقرارهم:

أيها المسلمون: إن من مسؤولية الدولة وواجبها أن تضربَ بيد من حديد على كل من يقتربُ من هذه الثوابت ليهُزَّها أو ينال منها، إنه عبثٌ غيرُ مسؤول ينال من الدين والوطن. الدولة مسؤولة عن أمن الناس وحمايتهم وصيانة حقوقهم ومُمتلكاتهم، وتنظيم شؤونهم في أسواقهم وبيوتهم ومرافقهم.

الدولة بأجهزتها القضائيَّة والتنظيميَّة والتنفيذيَّة مسؤولة عن أمن الناس واستقرارهم، وتحقيق العيش الكريم لهم، مسؤولة عن تحقيق العدل وتهيئة أسباب الحياة الطيِّبة.

عباد الله: فالحقوقُ مُتكافئة، والحياةُ مُنظَّمة، والمصالحُ مُعتبَرة، ولا يتحقَّقُ ذلك إلا في وطن قويٍّ هادئ، مُستقرٍّ آمن، تحكمُها دولة قويةٌ مُهيمنةٌ بقضائها وأجهزتها وعدالتها.

وليحذَر المُسلمُ أن يكون مطيَّةً للإفساد وبثِّ روح الفرقة، والخذلان لدينه، والخيانة لوطنه ولسائر أهله.

الحذَر ثم الحذَر أن يكون الإنسان -من حيث يشعُر أو لا يشعُر- وقودًا أو حطبًا لمثل هذه الدعوات الفئويَّة الضيِّقة التي لا تأخُذُ حسابًا لأهلها وبلدها وأمنها وسلامتها، والضررُ سيلحقُ بالجميع، والنارُ ستُحرقُ الجميع، ومن يتقاعس عن التصدِّي لهؤلاء الشذَّاذ والمرجفين والمتطرِّفين، أو يُحاول إيجادَ أعذار أو مُسوِّغات أو ينقدهم بضعف أو استحياء فهو شريك في إضعاف الوطن وهزِّ كيانه.



ووحدةُ الأوطان وسلامتُها والحفاظ على دينها وأمنها لا يجوزُ المساسُ به أو العبَثُ به، بأي حال وتحت أي مُسوِّغ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٥، ٢٦].

الفرق بين حرية التعبير والتحريض:

المُطالبةُ بالحقوق حقٌ، وبابُ التناصُح مشروعٌ ومُشرَعٌ، وللناس حقوقهم ومطالبُهم، والنقصُ يجبُ أن يُسدَّد، والمطالبُ تُرفعُ وتُسمَعُ، ومسالكُ النقد والمطالبة بالإصلاح حقوقٌ مشروعةٌ إذا سُلِك بها المسالكُ الصحيحة.

حقُّ النقد والتعبير والرأي كلُّ ذلك مشروعٌ مكفولٌ، ويجبُ أن يكون مبذولاً ومُتاحًا ما دام مُلتزمًا بالثوابت من المحافظة على الدين بأصوله، والوطن بوحدته، والأمة بمُكوناتها.

من المقبول أن يقسُو الناقدُ والمُصلحُ بعضَ القسوة في ألفاظه وعرضه، ولكن لا يُمكنُ أن يُقبَل الاستقواء بالأغراب، واستعداء الأعداء، وامتطاء مطيَّة الكذب والتلبيس والتدليس.

إن في أوطاننا وبُلداننا كُتَّابًا وخُطباء ونُقَّادًا يكتُبون وينتقدون بجُرأة وقوَّة وعقل ويُطالبون، لكنَّهم لا يتجاوَزون ثوابتَ دينهم ومصالحَ بُلدانهم، ولاؤُهم لأهلهم لا يُساومون، ولا يُدارُون، والقُصورُ واردٌ، والكمالُ عزيزٌ، والاجتهاداتُ تُخطئُ وتُصيبُ.

يجبُ أن يكون الفرقُ واضحًا بين حرية التعبير وحرية الرأي، وبين التحريض والتحريش ودقِّ معاول الهَدم والتفريق. فرقٌ بين النقد البنَّاء والدعوة للإصلاح، وبين زرع بُذور الفتن الطائفيَّة والقَبَليَّة والمناطقيَّة.

أصحابُ الحقوق والمطالب المشروعة حقٌّ أن يُسمَع لهم، وأن تستنهَض كل المؤسَّسات المتخصِّصة الرسمية وغير الرسمية ليُستمَع إليهم، ويُنظَر في مطالبهم، فما ثبتَ من حق فيجبُ المسارعة إلى تحقيقه حسبَ إمكانات الزمان والمكان والقدرات، وما كان غير ذلك فيكونُ الردُّ بالحسنى، وتقدير حقِّ المُطالبة.

ألا فاتقوا الله -رحمكم الله-؛ فالسعيدُ من وُعظ بغيره، والحكيمُ من نظرَ في العواقب.

تحذير الداعية من القصص الواهية

قصة النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم السابع من مولده

الحلقة (١٤٩)

إعداد/ إعداد: علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم، حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي يذكرها القصاص والوعاظ في مولد النبي صلى الله عليه وسلم، وكم من قصص واهية في المولد خرجناها وحققناها في هذه السلسلة حول مولد النبي صلى الله عليه وسلم اشتهرت وانتشر ليأخذ حذره منها، وهذا بيناه في أعداد المجلة على مدار السنوات السابقة لمن أراد مراجعتها.

ونواصل في هذا العدد - إن شاء الله تعالى - التحذير من القصص الواهية في مولد النبي صلى الله عليه وسلم، ونقدم للقارئ الكريم قصة النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم السابع من مولده.

أولا: المتن:

يُذكر في هذه القصة أن عبد المطلب جَدَّ النبي صلى الله عليه وسلم احتفل باليوم السابع لمولد النبي صلى الله عليه وسلم، وكان محور ارتكاز الحفل يدور على ثلاثة أشياء :

الأول: الختان، والثاني: التسمية، والثالث: المأدبة.

يتبين ذلك من هذا الخبر.

فقد رُويَ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن عبد المَطلب خَتن النبي صلى الله عليه وسلم يوم سابعه، وجعل له مأدبة، وسماه محمدًا. اهـ.

ثانيا: التخريج :

أخرج هذا الخبر الذي يروي قصة ما حدث للنبي صلى الله عليه وسلم يوم سابعه الإمام الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الأندلسي في «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» (١٥/١٩٤) كتاب «صفة النبي صلى الله عليه وسلم».

الباب الثالث : «ما جاء في السنة في الفطرة» قال : حدثنا أحمد بن محمد بن أحمد، حدثنا محمد بن عيسى، حدثنا يحيى بن أيوب بن بادي العلاف، حدثنا محمد بن أبي السري العسقلاني، قال: حدثني الوليد بن مسلم عن شعيب - يعني ابن أبي حمزة، عن عطاء الخراساني، عن عكرمة، عن ابن عباس أن عبد المطلب ختن النبي يوم سابعه..» القصة.

ثالثا: التحقيق

هذا الخبر الذي جاءت به قصة النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم السابع من ميلاده وما حدث له في سابعه انفرد به ابن أبي السري، ولقد بيَّن ذلك الإمام الحافظ ابن عبد البر في «التمهيد» فقال: «قال يحيى بن أيوب: طلبت هذا الحديث فلم أجده عند أحد من أهل الحديث ممن لقيته إلا عند ابن أبي السري». اهـ.

قلت: ولذلك قال أبو عمر: «في هذا الباب حديث مسند غريب»، ثم أخرج الحديث ثم أتبعه بقول يحيى بن أيوب ليبرهن على قوله هذا.

ومعرفة الخبر من حيث وصوله إلينا يتبين فيه المتابعات والشواهد والشهرة والعزية والغرابة، وهذا له أهمية عند أهل الصنعة.

وهذا الخبر الذي جاءت به قصة النبي صلى الله عليه وسلم في يوم سابعه خبر غريب وسنده واهٍ جدًا، وله علتان:

الأولى: محمد بن أبي السري.

١- قال الإمام المزي في «تهذيب الكمال»

(٦١٦٧/١٨٧/١٧): محمد بن المتوكل بن عبد الرحمن بن حسان القرشي الهاشمي أبو عبد الله بن أبي السري العسقلاني أخو الحسين بن أبي السري مولى بني هاشم.

روى عن الوليد بن مسلم وآخرون، وقال أبو أحمد بن عدي: «كثير الغلط». اهـ.

٢- وأورده الحافظ ابن حجر في «تهذيب التهذيب» (٣٧٦/٩) وأقر قول الإمام المزي في محمد بن أبي السري كذلك قول الإمام ابن عدي بأنه كثير الغلط، ونقل عنه حديثًا ليبين مناكيره وغرابة إسناده، ثم نقل عن مسلمة بن قاسم قال: ابن أبي السري كان كثير الوهم. وعن ابن وضاح قال: «كان كثير الغلط». اهـ.

٣- وأورده أيضًا الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٢٠٤/٢) وبيَّن أوهامه، فقال: «له أوهام كثيرة».

٤- وأورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٨١١٤/٢٣/٤) وقال: «محمد بن المتوكل العسقلاني هو محمد بن أبي السري، قال ابن عدي: كثير الغلط، ولمحمد هذا أحاديث لا تنكر». اهـ.

قلت: وهناك قاعدة مهمة عند أهل الصنعة تنطبق تمام الانطباق على من كان هذا حاله بيّنها الإمام العراقي في «فتح المغيث» (ص٧) فقال: «من كثر الخطأ في حديثه وفحش استحق الترك ولو كان عدلاً» اهـ.

وعند تطبيق هذه القاعدة يصبح السند واهيًا جدًا.

ولقد طبق هذه القاعدة الشيخ الألباني رحمه الله أكثر من مرة وعلى سبيل المثال لا الحصر في «السلسلة الضعيفة» (ح٩٢٣).

العلة الأخرى: الوليد بن مسلم.

أ- لقد أورده الحافظ ابن حجر في «طبقات المدلسين» في «المرتبة الرابعة» رقم (١١) وقال: «الوليد بن مسلم موصوف بالتدليس الشديد». اهـ.

قلت: ولقد بيّن الحافظ ابن حجر في مقدمة هذه الطبقات مفهوم الطبقة الرابعة فقال: «الرابعة: من اتفق على أنه لا يُحتج بشيء من حديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع لكثرة تدليسهم على الضعفاء والمجاهيل كبقية بن الوليد». اهـ.

قلت: ولقد افتتح هذه الطبقة الرابعة من طبقات المدلسين ببقية بن الوليد الحمصي وختمها بالوليد بن مسلم الدمشقي ويعقوب بن عطاء بن أبي رباح.

ب- أورده الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٣٣٦/٢) وقال: «الوليد بن مسلم القرشي مولاهم أبو العباس الدمشقي كان كثير التدليس والتسوية». اهـ.

قلت: ولقد بين الحافظ ابن حجر تدليس التسوية الذي يفعله الوليد بن مسلم؛ حيث نقل في «التهذيب» (١٣٥/١١) عن الإمام الدارقطني قوله: «قال الدارقطني: كان الوليد يرسل؛ يروي عن الأوزاعي أحاديث عند الأوزاعي عن شيوخ ضعفاء قد أدركهم الأوزاعي، فيُسقط أسماء الضعفاء ويجعلها عن الأوزاعي عن نافع». اهـ.

جـ- ولقد بيّن الإمام السخاوي في «فتح المغيث» (٣٣٩/١) صورة تدليس التسوية الذي يفعله الوليد بن مسلم فقال: «وصورته: أن يروي المدلس حديثًا عن شيخ ثقة بسند فيه راو ضعيف، فيحذفه المدلس من بين الثقتين اللذين لقي أحدهما الآخر، ولم يُذْكَر أولهما بالتدليس ويأتي بلفظ محتمل فيسوّي الإسناد كله ثقات، ويصرح المدلس بالاتصال عن شيخه؛ لأنه قد سمعه منه فلا يظهر في الإسناد ما يقتضي رده إلا لأهل النقد والمعرفة بالعلل ويصير الإسناد عاليًا وهو في الحقيقة نازل». اهـ.

ثم بيّن الإمام السخاوي حكمه فقال: «وهو مذموم جدًا لما فيه من مزيد الغش والتغطية». اهـ.

وقال: «إنه شر أنواع التدليس». اهـ.

ولقد بين الإمام السخاوي أشهر من كان يفعله فقال: «وممن كان يفعله بقية بن الوليد، والوليد بن مسلم». اهـ.

ولذلك في حالة من اشتهر بتدليس التسوية لا يكتفي فيه بالتصريح من المدلس بالسماع؛ حيث يتوهم من لا دراية له بهذا النوع من التدليس أن العلة قد زالت مع أن العلة موجودة في طبقات السند، ولا بد أن يصرح بالسماع إلى الصحابي خوفًا مما بيناها آنفًا من إسقاط ضعيف بين ثقتين لقي أحدهما الآخر.

وبتطبيق ذلك على الوليد بن مسلم وهو الذي يدلس كما بينا تدليس التسوية نجده لم يصرح بالسماع إلى الصحابي بل عنعن.

حيث قال محمد بن أبي السري: حدثني الوليد بن مسلم عن شعيب عن عطاء الخراساني عن عكرمة عن ابن عباس كما هو مبيّن في التخريج الذي بيناه آنفًا.

وبهذا يتبين أن السند الذي جاءت به القصة «قصة النبي صلى الله عليه وسلم في يوم سابعه» سنده واهٍ جدًا من حيث الطعن في الراوي محمد بن أبي السري لأوهامه وكثرة غلطه.

كذلك من حيث الإسقاط في السند، وهو كما بينا آنفًا من نوع السقط الخفي الذي أحد نوعيه التدليس بل هو من شر أنواع التدليس وهو تدليس التسوية.

ولقد بينا ذلك بالتفصيل لتحقيق الغرض من هذه السلسلة «تحذير الداعية من القصص الواهية».

رابعًا: هل وُلد النبي صلى الله عليه وسلم مختونًا؟

يظن من لا دراية له بتحقيقنا لهذه القصة وبيان ضعفها الشديد ولم يصح أن عبد المطلب أقام حفلاً ومأدبة وأنه ختن النبي صلى الله عليه وسلم يوم سابعه، فيتوهم أنه وُلد مختونًا؛ حيث اشتهر عند القصاص والوعاظ هذا الخبر الذي أخرجه الإمام البيهقي في «دلائل النبوة» (١/١١٤) فقال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن حاتم بمرو، قال: حدثنا أبو عبد الله البوشجني، قال: حدثنا أبو أيوب سليمان بن سلمة، قال: حدثنا يونس بن عطاء عن عثمان بن ربيعة بن زياد بن الحارث الصُّدائي بمصر حدثنا الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس، أن أباه العباس بن عبد المطلب قال: ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم مختونًا..

قلت: وهذه قصة أخرى واهية تبين أن عبد المطلب وجد النبي صلى الله عليه وسلم مختونًا مسرورًا فقال: ليكونن لابني هذا شأن.

وإن تعجب فعجب أن تأتي قصة أخرى تبين أن عبد المطلب ختن النبي يوم سابعه!!

قلت: ومن أقوال أئمة الجرح والتعديل في سليمان بن سلمة يتبين أن هذا الخبر مكذوب والحديث موضوع.

لذلك تحدَّث الإمام ابن القيم في «زاد المعاد» (١/٨٠) حول ختانه صلى الله عليه وسلم فقال عن خبر ولادة النبي صلي الله عليه وسلم مختوناً: روي في ذلك حديث لا يصح، ذكره أبو الفرج بن الجوزي في «الموضوعات»، وليس فيه حديث ثابت، وليس هذا من خواصه.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

الفروع الفقهية عند الرافضة

إعداد / أسامة سليمان



الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... وبعدُ:

فإن للشيعة الرافضة كتبًا كثيرة في فروع الفقه تعتمد على ما يسندونه لأهل البيت من آثار وأشهرها كتاب وسائل الشيعة، ومستدرك الوسائل، وفي هذا المقال نبين لك بعضًا من مسائلهم التي خالفوا فيها أهل السنة؛ إما لتأثر الكاتب بأصل من أصولهم، والكتاب والسنة على خلافه، وإما لكذبهم وعدم التحقق من صحة الدليل أو تعمد الكذب لمخالفة أهل السنة ، وسأذكر لك بعضًا من هذه النماذج لتكون على معرفة بها:

١- نجاسة سؤر الكلب وولد الزنا، والناصب (وهو من يتولى أبا بكر وعمر)، فعن أبي عبد الله الصادق : أنه كره سؤر الكلب وولد الزنا وسؤر اليهودي، والنصراني والمشرك، وكان أشد ذلك عنده سؤر الناصب. [كتاب الطهارة.. وسائل الشيعة ج١/٢٢٤].

٢- الصدغان وأسفل الذقن ليسا من جسد الوجه في الوضوء، ويجب الابتداء في غسل الوجه من أعلاه، وفي اليدين بالمرفقين حيث كان التنزيل في مصحف عليّ «وأيديكم من المرافق» بدلاً من (وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ) [المائدة: ٦] ، كما أن الواجب عندهم في الوضوء مسح الرجلين من أعلى القدمين، يبل اليد من أثر غسل اليدين، وذلك بقدر ثلاثة أصابع؛ حيث نزل جبريل بالمسح، ولا يجوز غسل الأرجل إلا في حالة التقية، كما لا يجوز المسح على الخفين. [وسائل الشيعة ج١ ص٧ وما بعدها].

٣- جواز قراءة القرآن للحائض والنفساء والجنب، إلا سور القرآن الأربع وهي: العلق، والنجم، والسجدة، وفصلت، ولا تجوز قراءة هذه السور في الفرائض؛

لأنها تُفسد الصلاة وحجتهم في ذلك أن هذه السور بها سجدة تلاوة وسجدة التلاوة مخلة بهيئة الصلاة. [وسائل الشيعة ج٣/٢٩٦].

٤- التيمم مسح الجبهة موضع السجود، أي: فوق الحاجبين وطرف الأنف وليس كل الوجه، ومسح اليدين إلى موضع القطع في السرقة، ويستدلون على ذلك بقوله تعالى: (فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُ) [المائدة: ٦]، فالباء عندهم للتبعيض. [وسائل الشيعة ج٤ ص٣١٤].

٥- الصلاة الواجبة تسع صلوات: الخمس اليومية، والجمعة، والعيدان، ويشترط للجمعة والعيدين حضور الإمام المعصوم، أو من نصبه الإمام لها، وصلاة الآيات مثل الكسوف والخسوف وصلاة الطواف، والطواف، وصلاة الميت وما وجب بنذر أو عهد أو يمين، الفائتة على الوالدين وقضاء الفوائت. [وسائل الشيعة ٥/١٣٩].

٦- قول آمين ووضع اليمين على الشمال مبطل للصلاة. [راجع الشيعة في عقائدهم ص١١٢].

٧- صلاة التراويح ليست من السنة، وإنما ابتدعها عمر بن الخطاب. [السابق ص١١٨].

٨- زيادة وأشهد أن عليًا ولي الله بعد الشهادتين، وحي على خير العمل بعد الحيعلتين، في الأذان. [السابق ص١٢٣].

٩- عدم جواز السجود على الثياب والفُرُش وغيرها من كل ما يُلبَس أو يؤكل واستحباب السجود على التربة الحسينية؛ لتيقن طهارتها بخلاف غيرها من أجزاء الأرض. [السابق: ص١٢٦].

١٠- الصلاة على الجنازة خمس تكبيرات، ولا تسليم فيها، ولا يشترط لها الطهارة، بل تجوز صلاة الحائض والجنب، ولا صلاة إلا على من بلغ ست سنين فصاعدًا. [وسائل الشيعة ٣/٤١٠].

١١- لا تجب الزكاة إلا في تسعة أشياء فقط هي: الإبل، والبقر، والغنم، والذهب، والفضة، والحنطة، والشعير، والتمر، والزبيب. [راجع كنز العرفان للمقداد الحلي ص١٠٧].

١٢- الأنفال ومستحقها التي عن الإمام المعصوم، وفي زمن غيبته هي لنائبه. [راجع الشيعة وعقائدهم ص١٤٢].

١٣- المريض والمسافر لا بد أن يفطرا ولا يصح صومهما، والصائم في السفر كالمفطر في الحضر. [السابق ص١٤٦].

من أصبح جنبًا وجب عليه القضاء والكفارة. [الشيعة وعقائدهم ص١٤٨].

١٤- يُشترط لوجوب الجهاد: وجود الإمام المعصوم، وأمره به، وأن يدعو إليه.

١٥- جواز نكاح المرأة على عمتها أو خالتها؛ بشرط إذنها ورضاها، وعدم جواز نكاح الكتابيات إلا في نكاح المتعة.

١٦- لا يقع الطلاق إلا إذا حضره شاهدا عدل يسمعان صفته.

١٧- عدة المتمتَع بها حيضتان، أو خمسة وأربعون يومًا.

١٨- الأنبياء يورثون كغيرهم، والصديق ظلم فاطمة وأزواج النبي في ميراثهم من تركة النبي صلى الله عليه وسلم.

١٩- لا ميراث للإخوة ولا الأخوات مع وجود بنت للميت أو بنت ابن، كما لا يرث الأخ من أخته إذا كانت لها بنت، وكذا الأخت من أخيها إذا كان له بنت.

٢٠- القطع في السرقة يكون في أصابع اليمنى الأربع، أما الإبهام والراحة فلا تقطع؛ لأنها من المساجد؛ لقول الله: (وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ) [الجن: ١٨].

٢١- من أقر بالقتل ثم جاء آخر فأقر به أيضًا سقط الحد عنهما.

هذه بعض الفروع الفقهية عند الرافضة التي تتضمن مخالفة صريحة للكتاب والسنة، والتي تأثروا فيها بفقهاء الشيعة وعقائدهم.

نسأل الله لهم الهداية للحق والبعد عن الضلال والزيغ.

والله من وراء القصد .



المذهب الوسطي لأبي الحسن الأشعري في توحيد الصفات

مجاراة الأشعري لأئمة السلف وتابعيهم بإحسان في استنكارهم تأويلات المعتزلة والجهمية والشيعة والخوارج.. ومن تبعهم في ذلك من متأخري الأشاعرة

إعداد/ أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعدُ:
فعلى نحو ما لم يكن أبو الحسن الأشعري - إمام المذهب ت ٣٢٤ هـ - بدعاً من أهل التحقيق من علماء وأئمة سلف هذه الأمة، في إثبات ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من الصفات الخبرية والفعلية.. فإنه - رحمه الله - لم يكن كذلك وحيد نسجه في رد عادية الجهمية والمعتزلة والشيعة ومن على شاكلتهم من أولئك الذين يدعون لأنفسهم شرف الانتساب إليه من متأخري الأشاعرة وما هم منه، لكونهم من دونه وعلى غير مذهبه يقولون بتفويض الصفات أو تأويلها وإخراجها إلى المجاز دون ما قرينة.. وإنما استهجن هذا منهم أيضا جمهرة علماء وأئمة أهل السنة والجماعة على مر الدهور والأزمان.

معتقد علماء وأئمة أهل السنة والجماعة في صفات الله تعالى:

ففي تحدٍّ صارخ من الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١) لرد مقولة الجهمية التي نفوا فيها علوه تعالى واستواءه على عرشه، وجنحوا فيها إلى القول بأن الله تعالى بذاته في كل مكان مخلوق، يقول رحمه الله: «إذا أردت أن تعلم أن الجهمي كاذب على الله حين زعم أنه في كل مكان، فقل له: أليس كان الله ولا شيء؟، فيقول: نعم، فقل له: فحين خلق الشيء، خَلَقَه في نفسه أو خارجاً عن نفسه؟، فإنه يصير إلى أحد ثلاثة أقوال:
أ- إن زعم أن الله تعالى خلق الخلق في نفسه، كفر حين زعم أن الجن والإنس والشياطين وإبليس في نفسه.
ب- وإن قال: خلقهم خارجاً من نفسه ثم دخل فيهم، كفرٍ أيضاً حين زعم أنه دخل في كل مكان وحَشٍ وقذر.
جـ - وإن قال خلقهم خارجاً من نفسه ثم لم يدخل فيهم، رجع عن قوله أجمع إلى قول أهل السنة» [ينظر رسالته في (الرد على الجهمية) ص ١٥٥، ١٥٦، واجتماع الجيوش ص ٧٩، ومختصر العلو ص٥٤].
ومما تضافر عن عبد الله بن المبارك (ت ١٨٢) في التحذير مما عليه الجهمية من نفي فوقيته تعالى وتأويل الاستواء بالاستيلاء، قوله: «نعرف ربنا بأنه فوق سبع سموات، على العرش استوى، بائن من خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية». [اجتماع الجيوش ص ٤٤].
وفي تعليقه على قول سيد الحفاظ يحيى بن معين (ت٢٣٣) - في إثبات نزوله تعالى دون ما لجوء إلى التأويل -: «إذا قال لك الجهمي: وكيف ينزل؟ فقل له: كيف يصعد؟».. يقول الإمام الذهبي: «الكيف في الحالين منفي عن الله تعالى، لا مجال للعقل فيه» [العلو ص ١٢٩، والمعارج ١/١٤٠].

انتفاء التمثيل والتشبيه عن صفات الله تعالى:

وهذا ما يقتضيه المنطق والقياس والقرائن العقلية، وقد أخبرنا سبحانه عن تفاصيل يوم القيامة وما في الجنة والنار، فقامت حقائق ذلك في قلوب أهل الإيمان وشاهدته عقولهم فلم يشكّوا أن في الجنة أنهاراً من

خمر وأنهاراً من عسل وأنهاراً من لبن، ولم يعرفوا كُنه ذلك ولا مادته وكيفيته؛ إذ كانوا لا يعرفون في الدنيا من الخمر إلا ما اعتصر من الأعناب، ومن العسل إلا ما قذفت به النحل في بيوتها، ومن اللبن إلا ما خرج من الضروع، ومن الحرير إلا ما خرج من دودة القز، وقد فهموا معاني ذلك في الجنة من غير أن يكون مماثلاً لما في الدنيا، ولم يمنعهم عدم النظير في الدنيا من فهم ما أخبروا به من ذلك..

وهكذا الأسماء والصفات لم يمنعهم انتفاء نظيرها ومثالها من فهم حقائقها ومعانيها، بل قام بقلوبهم معرفة حقائقها وانتفاء التمثيل والتشبيه عنها، يقول ابن قتيبة (ت ٢٧٦): «فنحن نقول كما قال الله تعالى وكما قال رسوله ولا نتجاهل.. ولا يحملنا ما نحن فيه من نفي التشبيه على أن ننكر ما وصف به نفسه، ولكنا لا نقول كيف، والله وضع عنا أن نفكر كيف كان؟ وكيف قدّر؟ وكيف خلق؟، ولم يكلفنا ما لم يجعله في تركيبنا ووسعنا» [عقيدة الإمام ابن قتيبة ١٣٤، ١٣٩، وينظر العلو ١٤٥ ومختصره ٢١٦].

استنكار تعطيل أو تأويل أهل الزيغ والضلال لصفات الله تعالى:

ومما يفيد إجماعهم على استنكار تعطيل أو تأويل أهل الزيغ والضلال لصفات الله تعالى، أو القول فيها بالتفويض، ما جاء عن أبي عبد الله شريك القاضي (ت ١٨٨) فيما حكاه عنه عباد بن العوام قائلاً: «قدم علينا شريك بن عبد الله منذ نحو من خمسين سنة، فقلنا له: يا أبا عبد الله، إن عندنا قوماً من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث: (إن الله ينزل إلى السماء الدنيا)، و(إن أهل الجنة يرون ربهم)، فحدثني شريك بنحو من عشرة أحاديث في هذا، ثم قال: أما نحن فأخذنا ديننا عن أبناء التابعين عن الصحابة، فهم عمن أخذوا؟!» [العلو ص ١٠٨ ومختصره ص١٤٩، وينظر التوحيد لابن منده ٣/ ١١٦، ٣٠٦ والصفات للدارقطني ص٧٣ والصفات للبيهقي ص٦٠٧ والمعارج ١/ ٢٧٢].

قول فقيه العراق في عقيدة أهل السنة والجماعة:

وما جاء في قول فقيه العراق أبي العباس بن سريج (ت ٣٠٦): «قد صح وتقرر واتضح عند جميع أهل الديانة والسنة والجماعة من السلف الماضين والصحابة والتابعين من الأئمة المهتدين الراشدين المشهورين إلى زماننا هذا، أن جميع الآي الواردة عن الله تعالى في ذاته وصفاته، والأخبار الصادقة الصادرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الله وفي صفاته التي صحّحها أهل النقل وقبلها النقاد الأثبات، يجب على المرء المسلم المؤمن الموفق، الإيمان بكل واحد منها كما ورد، وتسليم أمره إلى الله كما أمر، وذلك مثل قوله تعالى: «هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ» [البقرة:٢١٠]، وقوله تعالى: «وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا» [الفجر:٢٢] وقوله تعالى: «ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ» [طه:٥]، وقوله تعالى: «وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ» [الزمر:٦٧]، ونظائرها مما نطق به القرآن كالفوقية والنفس، واليدين والسمع والبصر، والكلام والعين والنظر، والإرادة والرضا والغضب، والمحبة والكراهة، والعناية والقرب والبعد، والسخط والاستحياء، والدنو كقاب قوسين أو أدنى، وصعود الكلام الطيب إليه، وعروج الملائكة والروح إليه وتجليه، والوجه وخلق آدم عليه السلام بيده، ونحو قوله: «ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ» [الملك:١٦، ١٧].. وغير ذلك من صفاته المتعلقة به المذكورة في الكتاب المنزل على نبيه.

فهذا، وجميع ما لفظ به المصطفى من صفاته؛ كغرسه جنة الفردوس بيده، وشجرة طوبى بيده، وخط التوراة بيده، والضحك والتعجب، ووضعه قدمه على النار فتقول (قط قط)، وذكر الأصابع والنزول كل ليلة إلى سماء الدنيا.. وكغيرته وفرحه بتوبة العبد.. وغير هذا مما صح عنه صلى الله عليه وسلم من الأخبار المتشابهة الواردة في صفات الله - سبحانه - ما بلغنا وما لم يبلغنا مما صح عنه.

اعتقادنا فيه، أن نقبلها ولا نردها، ولا نتأولها بتأويل المخالفين ولا نَحْملها على تشبيه المشبهين، ولا نزيد عليها ولا ننقص

منها، ولا نفسرها - يعني تفسيراً يُخرجها عن ظاهر معناها كما كان يفعل أتباع جهم - ولا نكيّفها، ولا نترجم عن صفاته بلغة غير العربية، ولا نشير إليها بخواطر القلوب ولا بحركات الجوارح، بل نطلق ما أطلقه الله عز وجل، ونفسّر ما فسره النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعون والأئمة المرضيون من السلف المعروفين بالدين والأمانة، ونُجمع على ما أجمعوا عليه، ونمسك عما أمسكوا عنه، ونُسلم للخبر الظاهر والآية الظاهر تنزيلها، لا نقول بتأويل المعتزلة والأشعرية والجهمية، والملاحدة والمجسمة، والمشبهة والكرامية والمكيِّفة، بل نقبلها بلا تأويل، ونؤمن بها بلا تمثيل، ونقول: الإيمان بها واجب، والقول بها سُنّة، وابتغاء تأويلها بدعة» [اجتماع الجيوش ص ٦٢- ٦٤، ويُنظر العلو ص١٥٢، ١٥٣ ومختصره ص ٢٢٦، ٢٢٧].

البربهاري وقول مسدد في عقيدة السلف:

وقد ذكر البربهاري - إمام أهل السنة في عصره (ت ٣٢٩) - أن «أهل العلم لم يزالوا يردون قول الجهمية، حتى كان في خلافة بني العباس تكلمت الرويبضة في أمر العامة.. وأخذوا بالقياس والرأي، وكفروا من خالفهم، فدخل في قولهم الجاهل والمغفل، والذي لا علم له؛ حتى كفروا من حيث لا يعلمون فهلكت الأمة.. إلا من ثبت منهم على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ولم يتخط أحداً منهم ولم يجاوز أمرهم ووسعه ما وسعهم» [شرح السنة للبربهاري ص ٥٥ باختصار].

دُرَر من كلام أئمة أهل السنة في العقيدة الصافية:

وقال الإمام أبو زكريا يحيى بن عمار السجستاني (ت ٤٢٢) في رسالته: «لا نقول كما قالت الجهمية: إنه تعالى مُداخِل للأمكنة، وممازج بكل شيء، ولا نعلم أين هو؟، بل نقول: هو بذاته على العرش، وعلمه محيط بكل شيء، وعلمه وسمعه وبصره وقدرته مدركة لكل شيء، وذلك معنى قوله: «وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ» [الحديد:٤] فهذا الذي قلناه، هو كما قال الله وقال رسوله» [العلو للذهبي ص ١٧٧، ١٧٨ ومختصره ص ٢٦٣].

ونذكر من كلام أئمة أهل السنة في ذلك أيضاً ما جاء عن الحافظ أبي عمرو الطلمنكي (ت٤٢٩) في كتابه الوصول إلى معرفة الأصول قال: «أجمع المسلمون من أهل السنة على أن الله تعالى فوق السموات بذاته، مستو على عرشه كيف شاء، وقال أهل السنة في قوله (الرحمن على العرش استوى) [طه/٥]: إن الاستواء من الله على عرشه على الحقيقة لا على المجاز، فقد قال قوم من المعتزلة والجهمية: لا يجوز أن يُسمى الله عز وجل بهذه الأسماء على الحقيقة، ويسمى بها المخلوق.. فنفوا عن الله الحقائق من أسمائه وأثبتوها لخلقه، فإذا سُئلوا ما حملهم على هذا الزيغ؟ قالوا: الاجتماع في التسمية يوجب التشبيه. قلنا: هذا خروج عن اللغة التي خُوطبنا بها؛ لأن المعقول في اللغة أن الاشتباه في اللغة لا يحصل بالتسمية، وإنما تشبيه الأشياء بأنفسها أو بهيئات فيها كالبياض بالبياض.. ولو كانت الأسماء توجب اشتباهاً لاشتبهت الأشياء كلها لشمول اسم الشيء لها، فنسألهم أتقولون: إن الله موجود؟، فإن قالوا: نعم، قيل لهم: يلزمكم على دعواكم أن يكون مشبهاً للموجودين، وإن قالوا: موجود، ولا يوجب الاشتباه بينه وبين الموجودات، قلنا: فكذلك هو في سائر الصفات» [العلو ص١٧٨، ١٧٩ والصواعق ص ٣٨٥].

وما جاء عن الإمام الجويني (ت ٤٣٨) في نصيحته التي أعلن فيها رجوعه إلى مذهب أهل السنة والجماعة: «ليس من الإنصاف أن يفهموا في الاستواء والنزول والوجه واليد صفات المخلوقين، فيحتاجون إلى التأويل والتحريف.. فإن فهموا في هذه الصفات ذلك، فيلزمهم أن يفهموا في الصفات السبع صفات المخلوقين من الأعراض!!.. فما يُلزموننا به في تلك الصفات من التشبيه والجسمية، نُلزمهم به في هذه الصفات في العَرَضيّة، وما ينزّهون ربهم به في الصفات السبع وينفونه عنه من عوارض الجسم فيها، فكذلك نحن نعمل في تلك الصفات التي ينسبوننا

فيها إلى التشبيه سواء بسواء.
ومن أنصف، عرف ما قلناه واعتقده وقبل نصيحتنا، ودان لله بإثبات جميع صفاته هذه وتلك، ونفى عن جميعها التعطيل والتشبيه والتأويل والوقوف - يعني عن معرفة المعنى.. وهذا مراد الله منا في ذلك؛ لأن هذه الصفات وتلك جاءت في موضع واحد وهو الكتاب والسنة، فإذا أثبتنا تلك بلا تأويل، وحرّفنا هذه وأوّلناها، كان كمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض، وفي هذا بلاغ وكفاية» [النصيحة ص ٤٠: ٤٣، وينظر مختصر العلو ص ٢٩: ٣١].
وما جاء أيضاً عن حافظ المغرب أبي عمر يوسف ابن عبد البر (ت٤٦٣)؛ حيث ذكر في جواب له أن: «أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة في الكتاب والسنة والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لم يكيّفوا شيئاً من ذلك، وأما أهل البدع الجهمية والمعتزلة والخوارج فكلهم ينكرها ولا يجعلون منها شيئاً على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مشبِّه»، وقد نقله عنه الذهبي وابن قدامة وابن القيم وابن حجر في شرحه لصحيح البخاري وابن تيمية في (نقض أساس التأسيس) [التمهيد ٤/ ٥٦ والعلو للذهبي ص١٨٢، والصواعق ص ٣٨٥، واجتماع الجيوش ص ٤٨، والفتح ١٣/ ٣٤٦، ونقض أساس التقديس ص ١١٤].
ومن كلام أبي القاسم إسماعيل الأصبهاني (ت ٥٣٥) في كتابه الحجة في بيان المحجة ٢/ ٥٠٥ - وبعد ذكره لصفات المجيء واليمين والنفس، والإتيان واليدين، والاستحياء، والدنو والتجلي، والوجه والقدم، والقهر والمكر وغير ذلك مما ذكر الله في كتابه، وكذا ما ذكره رسوله صلى الله عليه وسلم من أخبار مثل قوله: (خلق الله جنة عدن بيده، وغرس شجرة طوبى بيده، وكتب التوراة بيده)، و(ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا)، وغيرة الله تعالى وفرحه بتوبة عبده، واحتجابه برداء الكبرياء، (وكلتا يديه يمين) وحديث القبضة والحثيات، ونظرته إلى قلب المؤمن، وغير ذلك مما صح عنه وثبت، قال: «على العبد أن يؤمن بجميع ذلك، ولا يؤوله تأويل المخالفين، ولا يمثله تمثيل الممثلين، ولا يزيد فيه ولا ينقص عنه، ولا يفسّر منه إلا ما فسره السلف ويُمِرّه على ما أمروا ويقف حيث وقفوا، لا يقول كيف؟ ولِمَ؟، يقبل ما قبلوه، ولا يتصرف فيه تصرف المعتزلة والجهمية.. هذا مذهب أهل السنة وما وراء ذلك بدعة وفتنة».
وقد حكى الإمام الذهبي (ت ٧٤٨) موافقة مقالة أهل الكلام من الأشاعرة لمقالة الجهمية، ورد أهل السنة عليهما، فقال: «مقالة السلف وأئمة السنة، بل والصحابة والله ورسوله والمؤمنون: (أن الله عز وجل في السماء، وأن الله على العرش، وأن الله فوق سماواته، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا)، وحجتهم على ذلك النصوص والآثار.. ومقالة الجهمية: (أن الله تبارك وتعالى في جميع الأمكنة)، تعالى الله عن قولهم، بل هو معنا أينما كنا بعلمه.. ومقالة متأخري المتكلمين: (أن الله تعالى ليس في السماء، ولا على العرش، ولا على السماوات ولا في الأرض، ولا داخل العالم ولا خارج العالم، ولا هو بائن عن خلقه ولا متصل بهم!)، وقالوا: (جميع هذه الأشياء صفات الأجسام والله تعالى منزّه عن الجسم).
قال لهم أهل السنة والأثر: (نحن لا نخوض في ذلك، ونقول ما ذكرناه، اتباعاً للنصوص وإن زعمتم.. ولا نقول بقولكم، فإن هذه السلوب نعوتُ المعدوم، تعالى الله جل جلاله عن العدم، بل هو موجود متميز عن خلقه، موصوف بما وصف به نفسه من أنه فوق العرش بلا كيف)» [العلو ص ١٠٧ ومختصره ص ١٤٦، ١٤٧].
ونكتفي هنا بهذا القدر لنستكمل في الحلقة القادمة - بمشيئة الله تعالى - الحديث عن المزيد من كلام أئمة الهدى، في استهجان ما آل إليه أمر أولئك المتأولة من الجهمية، وممن كان على شاكلتهم ممن خالفوا مذهب أبي الحسن الأشعري، ويدّعون لأنفسهم شرف الانتساب إليه.
وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين.

مقدمة في فقه النوازل

الحلقة الثالثة

إعداد/ د. محمد يسري

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه أجمعين.

نواصل الحديث عن ثمرات دراسة فقه النوازل فنقول وبالله تعالى التوفيق:

ثانيًا: من ثمرات دراسة فقه النوازل بالنسبة للمجتمع المسلم:

١- تقوية الأمة وتعميق الإيمان:

تعاني مجتمعاتنا الإسلامية اليوم من حالة من الهزيمة النفسية، ويتعرض كثير من أبناء الأمة لحملات تشكيك منظمة، تهز كيانهم الفكري والثقافي، علاوة على انبهار بحضارة مادية زائفة، وتبعية شبه مطلقة، حتى بات الكثير من أبناء الأمة يجد غضاضة في نفسه من تطبيق تعاليم دينه أو إظهار شعائر عبادته وعبوديته لله تعالى.

ولا شك أن العناية بمتغيرات العصر، وملاحقة تطوراته، وإبداء الرأي الشرعي في حديث مخترعاته، وجديد تقنياته مما يسهم في إعادة الثقة إلى نفوس متذبذبة، وتقوية الإيمان في قلوب ضعيفة، وزيادة للإيمان في قلوب واثقة.

إن الجامعات الإسلامية ومراكز البحوث والمجامع الفقهية ودور الفتوى في العالم الإسلامي رصيد هائل وطاقة ضخمة، وهي تملك من البحوث والدراسات العلمية الجادة في مختلف المجالات، والكفاءات النادرة المتخصصة في الجوانب الشرعية والواقعية كافة، -ما يجعلها مدعوة إلى العناية بقضايا النوازل، وإصدار بحوثها حولها، ومن ثم الإسهام بشكل مباشر في تقوية المجتمع المسلم من خلال العناية بنوازله المعاصرة، وهذه معاصرة مطلوبة في كل ميدان، فلا يخلو باب من أبواب الفقه غالبًا إلا ومنه مسائل تحتاج إلى اجتهاد أو تجديد لا يكاد المتأمل.

ويمكن القول بأن فقه النوازل لا يزدهر إلا في المجتمعات المتحضرة، حيث تزداد قيمة العمل، ولا يخشى أحد من إبداء الرأي، ومن جهة أخرى فإن تلك المجتمعات تشهد غالبًا تحولات اجتماعية كبيرة من شأنها أن توجد نوازل جديدة في مجالات الحياة كالتجارة والصناعة وفي الأعراف الاجتماعية والتقاليد.

ولعل الاجتهاد في العصر الحاضر ألزم من عصور مضت، وذلك لكثرة النوازل، وتعقد المسائل، وتطور الحياة بشكل سريع، وبعد عن أجواء الانضباط بالشريعة، وقيام تحدي الأنظمة الوضعية.

٢- سد حاجة المسلمين لمعرفة حكم الله في النوازل:

إن عناية الفقيه المجتهد مصروفة بلا شك إلى إدراك الحكم الشرعي لأفعال المكلفين، سواء تعلقت هذه الأفعال بعبادات محضة كالصلاة والحج أم تعلقت بالعقود والمعاوضات أو النكاح والطلاق، أو السياسة الشرعية والقضاء.

فمن الطبيعي إذن أن يلجأ المسلمون إلى علمائهم المفتين لاستجلاء أحكام الدين في كل ما يتعلق بالحياة وأفعال الأحياء، وهذه الأحكام قد تختلف باختلاف القيم الاجتماعية السائدة والأعراف، والفقيه النوازلي يحتاج إلى إدراك هذه المتغيرات جميعًا، حتى يكون لسان صدق يعبر عن قدرة الفقه الإسلامي على مواكبة هذه المتغيرات في الحياة الاجتماعية، كمجتمعات الحضارة المتقدمة تختلف ولابد عن مجتمعات البداوة، وهو مطالب بان يرعى ظروف الزمان والمكان في كل حال.

ثالثًا: ثمرته بالنسبة للفقيه المجتهد:

١- إذا كان مقصود المسلم من الطاعات وأعمال البر هو مرضاة الله وتحصيل الثواب، فلا شك أن الاشتغال بالشرعيات في الجملة ميدان رحيب لكسب الحسنات وتحصيل الخيرات، والمشتغل بالنوازل الفقهية درسًا وبحثًا من أعلى العلماء رتبة، وأجلهم قدرًا، وأكثرهم أجرًا.

ففي الحديث: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد» فإن عُني هذا الفقيه المجتهد -بعد بحث النازلة ودرسها والإفتاء فيها- بالتعليم فله أجر نشر العلم، وهذه درجات من الثواب، بعضها فوق بعض.

٢- إن الاشتغال ببحث النوازل ودراسة المسائل المستجدة يدور حكمه بين فرض العين على الفقيه المجتهد وفرض الكفاية، والقيام بهذا الفرض العيني أو الكفائي أداء للأمانة التي حمَّلها الله تعالى أهل العلم فقد أخذ تعالى الميثاق على العلماء ليبينوا الأحكام الشرعية، ولا يكتموها، والتكليف بهذه الأمانة منحصر فيهم، لقيام أهليتهم، واكتمال آلتهم الشرعية لاستنباط أحكام النوازل الفقهية، فكان لزامًا أن يتصدى المتأهلين من الفقهاء والمجتهدون من العلماء لهذا الواجب، إبراءً للذمة، وطلبًا للمعذرة عند الله تعالى.

دعوة الجمعية العمومية العادية للانعقاد يوم السبت ٢٠/٤/٢٠١٣م

بمشيئة الله تعالى تقرر فتح باب الترشيح لعضوية مجلس الإدارة لعام ٢٠١٣-٢٠١٤م، وذلك اعتبارًا من الأحد ٦/١/٢٠١٣م وحتى يوم الثلاثاء ١٥/١/٢٠١٣م.

تقدم طلبات الترشح للعضوية خلال هذه المدة يوميًا من الساعة العاشرة صباحًا إلى الثانية ظهرًا، بمكتب الأمين العام مشفوعة بصورة معتمدة من محضر مجلس الإدارة بالفرع لترشيح المتقدم للعضوية ممثلاً عنه.

ويشترط أن يكون العضو المرشح من أعضاء مجلس إدارة الفرع، وقد مر على عضويته بالمجلس مدة لا تقل عن ثلاث سنوات.

على أن يتضمن طلب الترشيح ما يلي:

الاسم رباعيًا، تاريخ ومحل الميلاد، محل الإقامة، المؤهل والوظيفة، صفة العضوية في مجلس إدارة الفرع، رقم التليفون، صورة بطاقة الرقم القومي.

ويشترط أن يقدم طلب الترشيح بمعرفة المرشح شخصيًا أو بتوكيل رسمي عنه.

والله الموفق والمستعان، وجزاكم الله خيرًا.

الأمين العام

أحمد يوسف

تهنئة واجبة

حصل الباحث / طلحة زكريا حسيني، على درجة الماجستير بتقدير عام جيد جداً من كلية القرآن الكريم والقراءات بجامعة الأزهر بطنطا في رسالة بعنوان «القراء والقراءات في القرن السابع الهجري»، تحت إشراف: أ.د. مروان محمد شاهين و أ. د. سامي عبد الفتاح هلال عميد الكلية، وقام بمناقشة الباحث كل من:

أ.د. سعيد صوابي، أ.د. عرفات محمد عثمان.

وذلك يوم ١٢ صفر ١٤٣٤هـ الموافق ٢٥ ديسمبر ٢٠١٢م.

وأسرة تحرير مجلة التوحيد ومجلس إدارة المركز العام يتقدمون بأخلص التهاني للباحث الحبيب، متمنين له دوام التوفيق.

رئيس التحرير